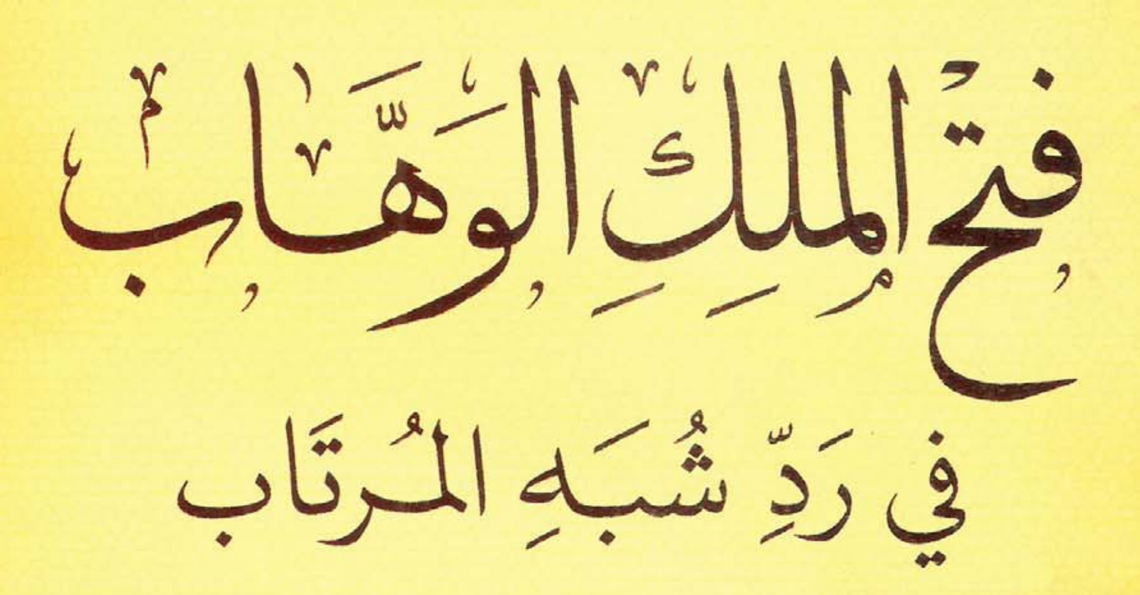


تأليف العلامة الشيخ

عبد اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن

ابن الإمام المجدد شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب

تقديم سماحة الشيخ

عبد العزيز بن عبد الله بن محمد آل الشيخ

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى به

عبد السلام بن عبد الله السليمان

فَتْحُ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ

فِي

رَدِّ شُبَهِ الْمُرْتَابِ

تَأْلِيفُ

العلامة عَبْدِ اللَّطِيفِ بْنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

ابْنِ حَسَنِ بنِ مُحمَّدِ بنِ عبدِ الوهَّابِ

تقديم سماحة الشيخ

عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس اللجنة الدائمة للإفتاء

اعتنى به

عبدالسلام بن عبد الله السليمان

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

عبدالوهاب، عبداللطيف عبدالرحمن حسن محمد

فتح الملك الوهاب في رد شبهة المرتاب./ عبداللطيف عبدالرحمن حسن محمد عبدالوهاب، عبدالسلام عبدالله السليمان.-الرياض، ١٤٢٧هـ.

٦٠ ص ؛ ١٧ × ٢٤ سم.

ردمك : ٩ - ٧٥٤ - ٥٢ - ٩٩٦٠

١- التوحيد - دفع مطاعن أ. السليمان، عبدالسلام عبدالله (محقق) ب- العنوان.

ديوي ٣٤٠,٩٠١ ٢٦٨٦ / ١٤٢٧

رقم الإيداع : ١٤٢٦/٧٣٨٤

ردمك : ٩ - ٧٥٤ - ٥٢ - ٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م


بسم الله الرحمن الرحيم



تقديم سماحة الشيخ

عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء ورئيس اللجنة الدائمة للإفتاء



بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام



الحمدلله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده... وبعد:

فإن أهم المهمات، ورأس الأمر، هو التوحيد، وهو حق الله عز وجل على عباده؛ يقول سبحانه: ﴿وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون﴾ ويقول عز وجل: ﴿وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء﴾ ويقول سبحانه وتعالى: ﴿ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾.

وتوحيد الله عز وجل هو إفراده بجميع أنواع العبادة، وهو معنى لا إله إلا الله، ركن الإسلام الأعظم من لم ينطقها عالماً بمعناها مقراً بمقتضاها ملتزماً لها؛ فليس بمسلم.

فحري بالعاقل المحب لنفسه المؤمل نجاتها وفلاحها في الدارين، أن يعتني بهذا الأمر أشد العناية تعلماً وعملاً، يقول الله عز وجل: ﴿فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك﴾ فبدأ بالعلم قبل القول والعمل. هذه الكلمة من علمها وآمن بمقتضاها نجى، ومن قصر في ذلك فإن الخسران حليفه والعياذ بالله.

فلا إله إلا الله لها ركنان؛ النفي والإثبات، لا إله: نافياً جميع ما يعبد من دون الله، إلا الله: مثبتاً العبادة لله وحده لا شريك له، ومقتضاها: صرف جميع العبادات لله وحده لا شريك له.

والعرب الذين بعث فيهم رسول الله ﷺ كانوا أهل فصاحة وبيان والرسول ﷺ بعث فيهم وهو الفصيح المبين وأنزل عليه القرآن بلسان عربي مبين.

لذا لما قال لهم النبي ﷺ قولوا: لا إله إلا الله، تفلحوا. قالوا له: (أجعل الآلهة إلهاً واحداً) هم يعلمون أن هذه الكلمة تقتلع شجرة الشرك من أصلها، فيعرفون معناها ومقتضاها ولوازمها لذا كان من آمن منهم هو أشد الناس إخلاصاً لله عز وجل في العبادة، وأبعدهم عن الشرك، لأنه يعرف معنى الكلمة التي دخل بها في الإسلام والتزم بمقتضاها وهي لا إله إلا الله.

لكن لما تطاول الزمان ودخل في الإسلام غير العرب وبعد العهد بأنوار النبوة، بدأ الجهل بمعنى هذه الكلمة يدب إلى المسلمين، ونتج عن ذلك وقوع كثير من المسلمين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله بألسنتهم في اليوم والليلة عشرات بل ومئات المرات، فيما يخالف هذه الكلمة بل ويناقضها، جهلاً بمعناها، فنجد من يقول لا إله إلا الله وهو في الوقت ذاته يسوق ذبيحته كبشاً أو بدنة أو غير ذلك ليذبحها لضريح الولي فلان، أو لتربة فلان، وهو يعلم أن الذبح من جملة

الرقم ١/٣٦١ التاريخ ٨ ٥ ٢٧ ١٤هـ المشفوعات :

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام



العبادات التي يتقرب بها إلى الله عز وجل كما في الأضاحي ونحوها والله تعالى يقول لنبيه ﷺ: ﴿فصل لربك وانحر﴾.

فمن صرف هذه العبادة لغير الله فقد أشرك ونقض كلمة التوحيد لا إله إلا الله فمن نطق بها وعمل بما يناقضها لم تنفعه، لأن المنافقين كانوا في عهد رسول الله ﷺ ينطقون بها بل ويصلون مع النبي ﷺ ومع ذلك لم تنفعهم لما كانت أعمالهم وخبايا نفوسهم تناقض ما نطقوا به فإن الله تعالى يقول: ﴿إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيراً﴾ والمقصود أن الجهل بمعنى هذه الكلمة قد دب إلى المسلمين منذ قرون والله عز وجل يقيض في كل زمان من يقوم لله عز وجل بحجته ويبين للناس أمر دينهم ويحذرهم مما وقعوا فيه، وكان أشد الأزمان غربة في هذا الباب أعني باب توحيد الألوهية ما كان قبيل زمن الإمام محمد بن عبدالوهاب – رحمه الله – فقد انتشرت مظاهر الوثنية في كثير من بلاد المسلمين وكانت القبور والأضرحة بل والأشجار ونحوها تقصد ويذبح لها وتنذر النذور لها وتدعى من دون الله عز وجل، فلما جاء زمان الإمام رحمه الله ورأى ما عليه كثير من الناس من غلبة الجهل وقلة من يعلمهم، قام لله عز وجل قيام صدق ودعا إلى تجريد التوحيد فبارك الله في دعوته وانتشرت وعم التوحيد الصحيح كثيراً من البقاع وصار أهله هم الغالبون الظاهرون أعانه في ذلك الإمام محمد بن سعود رحمه الله الذي قام معه قياماً بصدق، فلما صدقوا مع الله عز وجل القصد؛ مكن لهم في البلاد، فالحمدلله على إحسانه والشكر له على نعمائه.

وكان أئمة الدعوة السلفية يؤلفون الرسائل والكتب في هذا الشأن العظيم شرحاً له وتقريباً وضبطاً وتأصيلاً ورداً على من خالف قياماً بحق الله عز وجل على عباده وجهاداً لمن حاد عن السبيل، وممن قام في هذا الباب حق القيام وأقواه الإمام الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، الذي ألف كتباً ورسائل في هذا الباب.

وإن من أنفس رسائله وأهمها رسالة: ((فتح الملك الوهاب في رد شبه المرتاب)) وهي رسالة في بيان معنى (لا إله إلا الله) وإعرابها، إذ الإعراب فرع المعنى كما يقال.

والذي دعاه لذلك ما ذكره في مقدمة الرسالة حيث قال: (فقد خاض بعض الجاهلين في معنى كلمة الإخلاص وإعرابها وأتى بخلط وجهل لا يسع السكوت عليه).

بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية
الرئاسة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
مكتب المفتي العام

فكفى غفر الله له ووفّى المقام حقه، وبين أن إعرابها الصحيح هو أن يقدر الخبر المحذوف بـ(حقّ)، فيكون الكلام: لا إله حق إلا الله. وذلك لأدلة كثيرة من أهمها قول الله عز وجل: ﴿ذلك بأن الله هو الحق وأن ما يدعون من دونه هو الباطل وأن الله هو العلي الكبير﴾.

وجزى الله فضيلة الشيخ/ عبدالسلام بن عبدالله السليمان، الذي بذل جهداً مباركاً في هذه الرسالة عناية وضبطاً بالشكل خيراً على ما قدم، إضافة إلى مقدمة جيدة تنم عن محبة لهذه الدعوة المباركة وعلمائها شكر الله سعيه وبارك في جهوده.

أسأل الله عز وجل أن يعلي كلمته وينصر عباده الموحدين، وأن يرينا الحق حقاً ويرزقنا اتباعه والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يغفر لأسلافنا الذين مضوا على الخير وجاهدوا في الله حق الجهاد، ويبارك لنا فيمن بقي.

كما أسأله سبحانه أن يديم عز هذه الدولة المباركة بعز هذا الدين، وأن يثبت ولاة أمرنا على هذا السبيل ويجعلهم دعاة هداة إلى هذا الدين، وأن يرد بهم كل مخالف للتوحيد ومجادل بالباطل إنه سبحانه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،،،

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

عبدالعزيز بن عبدالله بن محمد آل الشيخ

م.الشعلان

الرقم ١/٣٦١ التاريخ ٨ / ٥ / ٢٧ ١٤هـ المشفوعات :



بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

المقدمة

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهده الله فهو المهتد، ومن يضلل فلن تجد له وليًّا مرشدا.

أما بعد:

فإن الحق الصريح الذي لا يزيغ عنه ذوو العقول السليمة، والفهوم المستقيمة، أن حقيقة مذهب السلف ـ وهو الحق ـ ردُّ الأمر إلى الكتاب والسنة، وهما لمن اتبعهما جُنّة من البدع والمخالفات، ثم التسليم لأهل العلم والمعرفة من السلف الصالح، مع الكف والإمساك وعدم اعتبارِ قول كل قوّال وأفّاك.

ولمّا كانت الأمة تتيه في الأعصار المتأخرة في غياهب الظلمات والجهالة، متنكبة عن سنة نبيها وسلفها الصالح، ظهر فيها من قد انحلَّ عن ربقة الدين المتين، وأبطل أساس الأئمة المتقين، فسار في الأرض سير المفسدين، وأوغل في الجهل والضلال المبين.

ولما كان لله في أرضه خَلفٌ عدولٌ، ينفون عن كتابه تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، كان للشيخ نادرةِ الزمان

عبدِ اللطيف بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله تعالى جميعًا ـ منهم نصيب، وكان له مع أولئك المارقين ما كان؛ من إنكار وردود، ووقوف في وجه باطلهم بكل حزم؛ بما أوتي من فهم ثاقب، وإدراك مصيب، فقلَّ في عصره من يدانيه في الفنون التي كان قد اتصف بها، وبخاصَّةٍ في علمي العقيدة والعربية، ومؤلفاته في ذلك خيرُ شاهد على علمه، وعلى جهل أولئك المبتدعة.

ولقد ذكر الشيخ ـ رحمه الله ـ في أولِ كتابه هذا الباعثَ على تأليفه، إذ قال: «فقد خاض بعض الجاهلين في معنى كلمة الإخلاص وإعرابها، وأتى بخلط وجهل لا يسع السكوت عليه».

فشرح ما دلّت عليه كلمة التوحيد من معان عقدية ولغوية، مستشهدًا على ذلك بالآيات الكريمة، والأحاديث النبوية، وكلام أهل اللغة والشعر، مبرزًا فيها جواهر مكنونة، ومعادن مخزونة، تقصر عنها أفهام أولئك الجهلة، مما جاء في هذا الكتاب، وموضحًا جهالات ذلك المخالف، مما أتى به من تخبط وانحراف عن الصواب، وذلك في كلامه وشرحه على كلمة التوحيد.

فلله درّ الشيخ عبد اللطيف ـ رحمه الله ـ كم قد أجاد في كتاباته، وأفاد في تقريراته، وأبان عن علم غزير، فأحيا فيها لغة دينه التي كادت تتهاوى من جهلة العلماء، وإنّ إحياءَها إحياءٌ للعلوم كلِّها.

وقد يسر الله ـ تعالى ـ الوقوف على مخطوط تلك الرسالة، فقمتُ بتحقيقها، وفق الخطة الآتية:

١ ـ نسخ المخطوط الأصل، ثم معارضة المنسوخ مع الأصل المخطوط، وضبطُه وشَكْلُه.

٢ ـ مقابلة المخطوط بالمطبوع في كتاب «الدرر السنية»، وقد أثبت نصَّ المخطوط، وأشرت إلىٰ خلافه مع المطبوع في الحاشية.

٣ ـ تخريج الآيات القرآنية الكريمة.

٤ ـ تخريج الأحاديث النبوية، والآثار الواردة في الكتاب من كتب السنة المعتمدة؛ وذلك بذكر رقم الحديث، واسم الكتاب الوارد فيه في ذلك المرجع.

٥ ـ عزو الشعر إلى الدواوين الشعرية، وكتب الأدب المعتمدة.

٦ ـ عزو الأقوال إلى قائليها حيث جاءت في كتبهم.

هذا وأسأل الله ـ تعالى ـ التوفيق لما يحبه ويرضاه، وصلى الله على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتبه

عبد السلام بن عبد الله السليمان

ص . ب ٢٨٠٨٤ الرياض ١١٤٣٧

E-mail : abdulsalam@Al-daawah.net



ترجمـــةُ المـــؤلِّفِ

*** اسمه ونسبه وولادته:**

هو الإمام العالم العلامة، نادرة الزمان، وقدوة أهل الإسلام والإيمـان، الشيـخ أبـو عبـد اللـه عبـد اللطيـف بـن الشيـخ العـلامـة عبد الرحمن بن الشيخ حسن بن شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب بن سليمان الوهبي، التميمي، النجدي، الأزهري، الحنبلي.

ولد الشيخ في مدينة «الدرعية» سنة خمس وعشرين ومئتين وألف للهجرة النبوية.

*** نشأته وطلبه للعلم:**

نشأ الشيخ في بلدته «الدرعية» الفترة الأولى من حياته بين أسرة عريقة ضاربة جذورها بشرف العلم والفضل والصلاح والطهر.

فجد والده هو شيخ الإسلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وجده لأمه الشيخ الإمام عبد الله بن الشيخ محمد بن الشيخ عبد الوهاب.

ووالده الشيخ الإمام عبد الرحمن بن حسن بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

أما أُمُّه فهي لطيفة بنت عم أبيه الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، وخاله عبد الرحمن بن عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمهم الله جميعًا ـ.

فكان لهذه الأسرة العلمية العريقة الأثر الواضح في تنمية مواهبه، ومن ثمّ تبوأَ المكانة العلمية المرموقة، حتى أصبح أكثر علمًا ممن سبقه من آل الشيخ باستثناء والده وجده الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

وكانت بدايته في بيت والديه، فترعرع في رعايتهما، ونشأ نشأة طيبة.

وقرأ القرآن ومبادئ العلوم على يد والده، ثم ارتحل مع أهله وأعمامه إلى مصر حين نقلهم محمد علي باشا، بعد سقوط «الدرعية» سنة (١٢٣٤ هـ)، وسكنوا في منطقة الأزبكية، فمكث هناك مع أسرته قرابة واحد وثلاثين عامًا، تعلم خلالها علم العقائد على والده، وعلى عمه الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، وعلى عمه علي، وعمه إبراهيم، وعلى خاله عبد الرحمٰن بن عبد الله، وعلى أحمد بن رشيد الحنبلي.

وأخذ بقية الفنون عن علماء مصر منهم: الشيخ حسن القويسني، والشيخ مصطفى البولاقي، وعلماء كثيرون من أهل مصر، وأخذ العلم أيضًا والرواية بالسند عن محمد بن محمود الجزائري.

وكل من هؤلاء أجازه، وسيأتي ذكرٌ لمزيدٍ من شيوخه عند ذكر الشيوخ الذين تتلمذ عليهم.

وهكذا قضى الشيخ فترة من حياته في مصر وقَفَها كلها في العلم؛ تعلمًا وبحثاً، ومراجعةً ومذاكرةً، حتى صار من حملة العلم، وكان من

أشهر علماء الأزهر، وقد تولى تدريس المذهب الحنبلي فيه؛ حيث أسندت إليه رئاسة رواق الحنابلة في الجامع الأزهر.

وكان الشيخ ـ رحمه الله ـ قد تزوج بمصر من إحدى الأسر المصرية، وولد له منها ابنه أحمد، وقد بقي بمصر حتى مات.

وبعد قدوم الشيخ من مصر سنة (١٢٦٤ هـ) حيث مكث هناك ـ كما أسلفنا ـ قرابة واحد وثلاثين سنة، وبعد أن تولى عباس باشا السلطة، وكان محبًّا لدعوة الشيخ وأسلافه، ومنتقدًا لسياسة جده وعمه، فسمح للشيخ بمغادرة مصر، فوفد إلى بلاده واستقر في الرياض، وكان قد أحضر معه مكتبة فاخرة تزخر بأمَّات الكتب، ثم أُرسل إلى الأحساء للقضاء على الفتن هناك، وانتهى به المقام أخيرًا في مدينة الرياض، وتولى هناك التدريس والقضاء حتى توفاه الله سنة (١٢٩٣ هـ).

*** أخلاقه وصفاته:**

كان للشيخ ـ رحمه الله ـ صفات مميزة؛ فقد كان ـ رحمه الله ـ عالمًا ربانيًّا، قوي الشخصية، صادق اللهجة، قد ألبسه الله الهيبة والورع والصَّدْعَ بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، مهيب الطلعة، جسورًا في قول الحق، تهابه الملوك وسائر الرعية، ويعظِّمه طلبة العلم والرؤساء والوجهاء، يحرر النصائح القيمة، ويوجهها إلى القضاة والعلماء والأمراء والملوك.

وكان ـ رحمه الله ـ مع ذلك ذاكرًا لله ـ تعالى ـ كثير التلاوة للقرآن، آية باهرة في الحفظ، متوقد الذكاء، كأن العلوم نَصْب عينه، وافر العقل، فصيح اللسان، واضح العبارة، جميل الخط، تغلب على لغته الدارجة اللهجة المصرية الخفيفة.

* شـــيوخه:

١ ـ والده الشيخ الإمام عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، المتوفى سنة (١٢٨٥ هـ).

٢ ـ عمه الشيخ عبد الله بن الشيخ محمد بن عبد الوهاب، المتوفى سنة (١٢٤٢ هـ).

٣ ـ عمه الإمام الشيخ الفقيه علي بن محمد بن عبد الوهاب، المتوفى بمصر سنة (١٢٤٥ هـ).

٤ ـ عمه الشيخ إبراهيم بن الإمام محمد بن عبد الوهاب.

٥ ـ خاله الإمام العالم الورع عبد الرحمن بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، المتوفى بمصر سنة (١٢٧٤ هـ).

٦ ـ الشيخ القاضي أحمد بن حسن بن رشيد القحطاني الأحسائي الحنبلي، المتوفى بمصر سنة (١٢٥٧ هـ).

٧ ـ الشيخ إبراهيم بن محمد بن أحمد الباجوري، الذي انتهت إليه رئاسة الجامع الأزهر، المتوفى سنة (١٢٧٦ هـ).

٨ ـ الشيخ المحدث الفقيه القاضي محمد بن محمود الجزائري الإسكندري المعروف بابن العنابي، المتوفى سنة (١٢٦٧ هـ).

٩ ـ الشيخ مصطفى عبد الباقي البولاقي الأزهري.

١٠ ـ الشيخ حسن القويسني.

١١ ـ الشيخ أحمد محمد الصعيدي.

* تلامـــذته:

١ ـ أخوه الشيخ إسحاق بن عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب، المتوفى سنة (١٣١٩ هـ).

٢ ـ ابنه العالم الجليل العلاّمة الشيخ عبد الله بن عبد اللطيف، المتوفى سنة (١٣٣٩ هـ).

٣ ـ ابنه الشيخ القاضي إبراهيم بن عبد اللطيف، المتوفى سنة (١٣٢٩ هـ).

٤ ـ ابنه الشيخ مفتي الحجاز محمد بن عبد اللطيف، المتوفى سنة (١٣٢٩ هـ).

٥ ـ الشيخ حسن بن حسين بن علي بن حسين بن محمد بن عبد الوهاب، المتوفى سنة (١٣٤١ هـ).

٦ ـ الشيخ محمد بن محمود بن عثمان الضالع النجدي ثم الحلبي، وقد كان بينه وبين الشيخ مراسلات، وكان منتصرًا لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، ومن الدعاة إليها في بلاد الشام، توفى سنة (١٣٣٧ هـ).

٧ ـ الشيخ حمد بن فارس، المتوفى سنة (١٣٤٥ هـ).

٨ ـ الشيخ سليمان بن سحمان، المتوفى سنة (١٣٤٩ هـ).

٩ ـ الشيخ محمد بن إبراهيم بن سيف، القاضي في حائل، المتوفى سنة (١٢٦٥ هـ).

١٠ ـ الشيخ صعب ـ وكان الشيخ يسميه: سهلاً ـ بن عبد الله بن صعب بن محمد التويجري، المتوفى سنة (١٢٥٥ هـ).

وله تلاميذ غيرهم كثيرون من مصر والرياض والأحساء، وغيرها.

*** مكانته العلميةُ وثناء العلماء عليه:**

عندما كان الشيخ في مصر، أُسند إليه رئاسة رواق الحنابلة في الجامع الأزهر.

ولما خرج من مصر إلى نجد، استقر في الرياض، واتخذ من

المسجد الكبير المعروف بمسجد (الشيخ عبد الله) مدرسة كبيرة لتدريس مختلف العلوم والفنون المختلفة، فأخذ عنه كثيرون من أهل نجد، وكان أبوه قد طعن في السن، فقعد للطلبة جلسات في الليل والنهار، وانتهت مهمة التدريس والإفتاء في الرياض إليه، وصار ذا مكانة مرموقة، وانصبغت محبته في قلوب الخلق، حتى إن الإمام فيصلاً كان يصطحبه في جميع أسفاره، ويحب الجلوس معه دائمًا، واصطفاه لنفسه أمينًا في حله وترحاله، وكان قد أُسند إليه قضاء الأحساء سنة (١٢٦٤ هـ)، فبقي هناك قرابة سنتين، ثم بعد ذلك تولى القضاء مع أبيه في الرياض، وعند عودته أصبح الرجل الثاني في الدولة، فكان يشارك الإمام فيصل بن تركي ووالده الإمام عبد الرحمٰن في إرسال الرسائل، بل وفي الكتابة على لسان بعضهم.

وهكذا كان لهذا الإمام الجليل سيرة محمودة بين العامة والخاصة، وقد أثنوا عليه كثيرًا:

ـ فقال عنه ابنه محمد: الشيخ الفاضل العلامة، والمرشد الفهامة، نادرة الزمان، وقدوة أهل الإسلام والإيمان.

ـ وقال عنه الشيخ صالح بن سحمان:

وعبدُ اللطيفِ الحبرُ لا تَنسَ فضلَهُ   كوالدِه أَكْرِمْ بهم مِنْ أَئمةِ
إِمامٌ لَعَمْري نَال أعلى المَآثِرِ   ففاخِرْ بهم ياصاحِ فوقَ المَنَابِرِ

ـ وقال عنه الشيخ أحمد بن مشرف الأحسائي:

وعبدُ اللطيفِ الحَبرُ لا تنسَ فضلَهُ   إمامُ هُدًى تَزهُو مَحَافِلُهْ

ـ وقال عنه الشيخ عبد الرحمن الرويشد: العالم النحرير، الزعيم الديني الكبير.

* مؤلفـــاته:

نظرًا لمَا كان يحيط بالشيخ ـ رحمه الله ـ من أوضاعٍ صعبة في منفاه بمصر، وبعد عودته إلى نجد، لم يؤلف الشيخ ـ رحمه الله ـ المؤلفات الضخمة ذات المجلدات الكثيرة، فهو من الذين قيل فيهم: «علمهم أكثر من مصنفاتهم»، ومن مؤلفاته:

١ ـ منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس:

حيث اعتمد ابن جرجيس في كتاب سماه«صلح الإخوان» على الكذب على أهل العلم، وعدم الفقه فيما نقله وحكاه عنهم، فتصدى له الشيخ، ورد زيفه عليه بكتابه هذا، لكنه لم يتمه، فأتى بعده العلامة الشيخ محمود شكري الآلوسي، فأتمه بكتاب سماه: «فتح المَنَّانِ تتمة منهاجِ التأسيسِ رَدُّ صُلحِ الإخوانِ» وقد طبع كتابُ الشيخ ـ رحمه الله ـ مرات عدة.

٢ ـ تحفة الطالب والجليس في الرد على ابن جرجيس:

وقد وضعه تحت اسم: «دلائل الرسوخ في الرد على المنفوخ»، ويُعدُّ هذا الكتاب ردًّا مختصرًا على ابن جرجيس، والأولُ ردًّا مطولاً، وقد طبع الكتاب مرات عدة.

٣ ـ فتح الملك الوهّاب في رد شبه ا لمُرتاب:

وهو كتابنا الذي بين أيدينا.

٤ ـ مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام ونسبه إلى تكفير أهل الإيمان والإسلام:

وهو رد على عثمان بن منصور في كتابه «جلاء الغمة عن تكفير هذه الأمة»، والذي طعن فيه على الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه

الله ـ، وقد طبع الكتاب عدة مرات.

٥ ـ البراهين الإسلامية في رد الشبه الفارسية :

ردّ فيه على كتابات بعض الملحدين والمضللين، ووقف له بكل حزم وقوة، وقد طبع الكتاب مرتين.

٦ ـ نواة الإيمان :

وهو رسالة في ثمان صفحات في العقيدة، وقد طبع.

٧ ـ إتمام المنة في ذم اختلاف الأمة :

وهو رد على ابن منصور في مسألة اختلاف الأمة، وصيام يوم الشك، وقد طبع.

٨ ـ الإتحاف في الرد على الصحّاف :

وهو رسالة كتبها الشيخ ـ رحمه الله ـ ردًّا على شخص يدعى الصحّاف، بيّن فيه ضلاله، ومخالفته لمنهج الأنبياء والمرسلين، في معنى «لا إله إلا الله»، ومقتضياتها، وغيرها من المسائل العقدية.

٩ ـ شرح النونية :

لابن القيم ـ رحمه الله ـ، حيث شرع في شرحها، فشرح منها أربعين بيتًا، ولم يتيسر له إتمامها.

١٠ ـ شرح كتاب «الكبائر»

لجده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ رحمه الله ـ الذي اختصره من كتاب «الكبائر» للذهبي، لكنه لم يتمه ـ رحمه الله ـ.

*** وفاتــــه :**

ظل الشيخ ـ رحمه الله ـ داعيًا إلى الله ـ تعالى ـ بإخلاص وصدق، متفانيًا في خدمة العلم وطلبته، حتى أدركته المنية في الرياض، ليلة

السبت، رابع عشر من ذي القعدة، سنة (١٢٩٢ هـ)، على ما ذكره ابن الشيخ عبد اللطيف الشيخ محمد.

وذكر صاحب «الدر السنية» أن وفاته كانت في الرابع من شهر ذي الحجة سنة (١٢٩٢ هـ).

واتفقت المصادر الأخرى التي ترجمت للشيخ على أن وفاته كانت يوم الخميس في الرابع عشر من ذي القعدة سنة (١٢٩٣). ثلاث وتسعين ومئتين وألف.

وقد بكاه الصغير قبل الكبير، وفقدهُ المسلمونَ في أنحاءِ الأرض، وكانت وفاته مصابًا جللاً، وخطبًا فادحًا، وقد رثاه ـ رحمه الله ـ أناس كثيرون.

فقال الشيخ عبد الله بن بسّام في وفاته:

«وقد أبَّنهُ العلماءُ، ورثاهُ الشعراءُ، ومدحه العامة والخاصة، وتأسف عليه القريب والبعيد، وحزن عليه القاصي والداني؛ لأنه نجم هوى من أفق سمائه، وقمر كسف في تمام إشعاعه، وعالم خيّر، ومصلح خطير، رحل من البلاد وهي أحوج ما تكون إلى علمه الغزير، وعقله الكبير، لم يخلف مثله، ولم يترك لمنصبه الرفيع نظيره، فأقفرت مجالسه، وأوحشت مرابعه، وانفضّ سامره، وهكذا تنقص الأرض من أطرافها، ويموت العلم برحيل أهله، فإنا لله وإنا إليه راجعون».

*** مصادر ترجمته:**

١ـ «علماء نجد خلال ثمانية قرون» للشيخ عبد الله البسّام (١/ ٢٠٢).

٢ـ «مجلة الإصلاح» للشيخ محمد حامد الفقي، العدد الحادي

عشر، الصادرة سنة (١٣٤٧هـ)؛ حيث نقل هناك ترجمة نادرة بإملاء ابن الشيخ عبد اللطيف، وهو الشيخ العلامة المفضال محمد.

٣ـ «مشاهير علماء نجد وغيرهم» للشيخ عبد الرحمن آل الشيخ، (ص: ٧٣).

٤ـ «علماء الدعوة» له أيضًا (ص: ٤٧).

٥ـ «عنوان المجد» لابن بشر (٢/ ٤٣).

٦ـ «الدرر السنية» للشيخ عبد الرحمن بن قاسم (١٢/ ٦٦).

٧ـ «معجم المؤلفين» لكحالة (٢/ ١٠)

٨ـ «تاريخ ابن ضويان» (ص: ١٨٨).

٩ـ «تاريخ بعض الحوادث الواقعة في نجد ووفيات بعض الأعيان وأنسابهم من سنة ٧٠٠هـ إلى سنة ١٣٤٠هـ» لإبراهيم بن صالح عيسى (ص: ١٨٨).

١٠ـ «عقد الدرر» له أيضًا (ص: ٧٧).

١١ـ «روضة الناظرين» للقاضي (١/ ٣٠٣).

١٢ـ «تذكرة أولي النهى والعرفان» لإبراهيم بن عبيد آل العبد المحسن (١/ ٢٢١).

١٣ـ «قلائد الجمان في بيان سيرة آل سحمان» لعمر العمروي (ص: ٦٦).

١٤ـ «رسائل الشيخ عبد اللطيف ـ دراسة دعوية» للشيخ عبد الله بن محمد السبيعي.

١٥ـ «جهود الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ في الدعوة إلى الله تعالى» للشيخ صالح الفريح ـ رسالة ماجستير ـ.

١٦ـ مقدمة كتاب «إتمام المنة والنعمة في ذم اختلاف الأمة» للدكتور الوليد بن عبد الرحمن آل فريان.

١٧ـ «عبد اللطيف بن عبد الرحمن آل الشيخ ـ حياته وآثاره، وطريقته في تقرير العقيدة» لإبراهيم الفارس ـ أطروحة ماجستير.



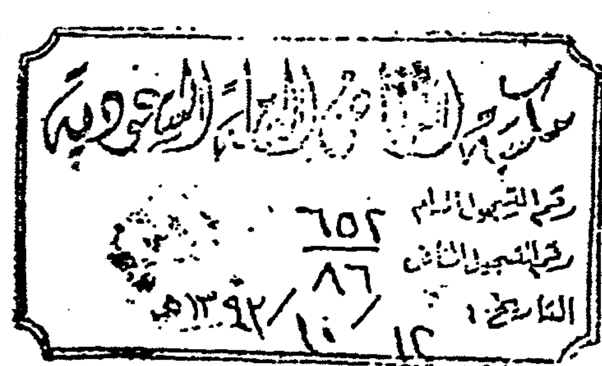





نماذج من صور المخطوطات




فتح الملك الوهاب في رد شبه المرتاب
تأليف شيخنا الشيخ عبد اللطيف
بن الشيخ عبد الرحمن بن حسن
أقال الله عثرته
وغفر زلته
آمين



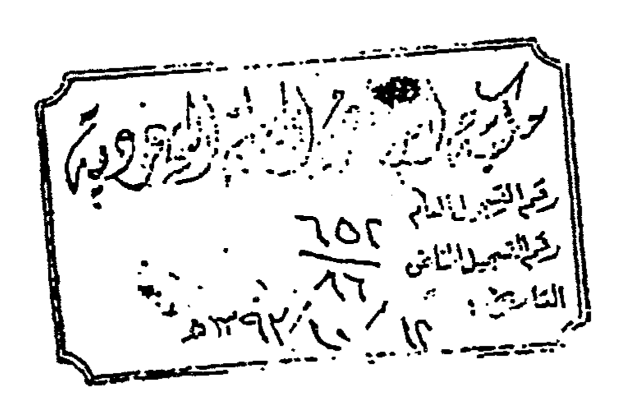
بسم الله الرحمن الرحيم. الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى
وبعد فقد خاض بعض الجاهلين في معنى كلمة الاخلاص واعرابها وأكثر
وجهل لا يسع السكوت عليه فنقول اعلم ان لا اله الا الله هي كلمة التقوى والعروة
الوثقى واصل دين الاسلام ومفتاح دار السلام قد دلت بمنطوقها وموضوعها على
نفي استحقاق الالهية عن غيره تعالى والبراءة من كل معبود سواه قولا وفعلا واثبات
استحقاق الالهية على وجه الكمال لله تعالى فالاول وهو النفي يستفاد من لا واسمها
وخبرها المقدر والاثبات يستفاد من الاستثناء لان الاثبات بعد النفي المتقدم
ابلغ من الاثبات بدونه وهذه طريقة القران يقرن بين النفي والاثبات غالبا
في هذا الموضع لان المقصود لا يحصل الا بهما قال تعالى فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله وقال ولقد بعثنا في كل امة رسولا ان اعبدوا الله واجتنبوا
الطاغوت وقال وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه وقال كتاب احكمت اياته ثم
فصلت من لدن حكيم خبير ان لا تعبدوا الا الله وقال عن نبيه يوسف ان الحكم
الا لله امر ان لا تعبدوا الا اياه ذلك الدين القيم وهذا هو معنى لا اله الا الله قال
ابن القيم رحمه الله وطريقة القران في مثل هذا ان يقرن النفي بالاثبات فينفي
عبادة ما سوى الله ويثبت عبادته وهذا هو حقيقة التوحيد والنفي المحض
ليس بتوحيد وكذلك الاثبات بدون النفي فلا يكون التوحيد الا متضمنا للنفي
والاثبات وهذا حقيقة لا اله الا الله انتهى ولهذا افادت هذه الكلمة

الحصر

صورة الصفحة الأولى من المخطوط

وجرى على الإسلام والقرآن أعظم محنة من العناية بمنطق اليونان حتى ضرب
أحمد بن حنبل بالسياط وقتل محمد بن نصر وبعض العلماء شرد وهاجر
فلما تولى أمير المؤمنين أبو جعفر المتوكل رفع المحنة ونشر السنة وأمر
بلعن الجهمية على المنابر وقرب الإمام أحمد وأكرمه وأخذ برأيه ورفع شأن
السنة والقرآن وهو الذي هدم مشهد الحسين وما عليه من البناء الذي أحدثه
الناس فجزاه الله عن الإسلام وأهله خيرا فتأمل ما جرى المنطق على أهله
من البلايا والمحن وما أوقعهم فيه من التعطيل والريب والفتن فكيف يحسن
يستجيز من له أدنى عقل أو دين أن يقرأ كتب المنطق وعلوم اليونان ويدع
الاشتغال بعلوم السنة والقرآن وهل هذا إلا زيغ في القلوب ومثل
هذا لا يوفق لطلب العلم من كتاب الله وفهمه قال ابن عيينة في قوله
تعالى سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق أي عن فهم
القرآن فأي ذريعة وأي وسيلة إلى ترك كتاب الله وسنة نبيه ومعرفته
وتوحيده أضر وأقرب من المنطق والأخذ عن أهله وخلطهم وأنس به
ونسأل الله الثبات على دينه وأن لا يزيغ قلوبنا بعد إذ هدانا
وأن يجعلنا من أوليائه وحزبه الذين ينصرون دينه ويذبون عن دينه
وكتابه وسنته عن تحريف المبطلين وتأويل الجاهلين وزيغ الزائغين
إنه ولي ذلك وهو على كل شيء قدير وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

بلغ مقابلة والحمد لله



صورة الصفحة الأخيرة من المخطوط

فَتْحُ الْمَلِكِ الْوَهَّابِ
فِي
رَدِّ شُبَهِ الْمُرْتَابِ

تَأْلِيفُ

العلامة عَبْدِ اللَّطِيفِ بْنِ الشَّيْخِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ

ابْنِ حَسَنِ بنِ محمدِ بنِ عبدِ الوهاب

اعتنى به

عبدالسلام بن عبدالله السليمان

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

اَلْحَمْدُ للهِ وكفىٰ[1]، وَسَلاَمٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى.

وَبَعْدُ:

سَبَبُ التَّصْنِيفِ

فَقَدْ خَاضَ بَعْضُ الْجَاهِلِينَ فِي مَعْنَى كَلِمَةِ الإِخْلاَصِ وَإِعْرَابِهَا، وَأَتَى بِخَلْطٍ وَجَهْلٍ لاَ يَسَعُ السُّكُوتُ عَلَيْهِ.

ما الَّذِي دَلَّتْ عَلَيْـهِ كَلِمَـةُ التَّوْحِيدِ؟

فَنَقُولُ: اِعْلَمْ أَنَّ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ هِيَ كَلِمَةُ التَّقْوَى، وَالْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، وَأَصْلُ دِينِ الإِسْلاَمِ، وَمِفْتَاحُ دَارِ السَّلاَمِ، قَدْ دَلَّتْ بِمَنْطُوقِهَا وَمَوْضُوعِهَا عَلَى نَفْيِ اِسْتِحْقَاقِ الإِلَهِيَّةِ عَنْ غَيْرِهِ تَعَالَى، وَالْبَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَاهُ، قَوْلاً وَفِعْلاً، وَإِثْبَاتِ اِسْتِحْقَاقِ الإِلَهِيَّةِ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ للهِ تَعَالَى.

فَالأَوَّلُ ـ وَهُوَ النَّفْيُ ـ يُسْتَفَادُ مِنْ «لاَ وَاسْمِهَا وَخَبَرِهَا» الْمُقَدَّرِ.

وَالإِثْبَاتُ يُسْتَفَادُ مِنَ الاِسْتِثْنَاءِ؛ لأَنَّ الإِثْبَاتَ بَعْدَ النَّفْيِ الْمُتَقَدِّمِ أَبْلَغُ مِنَ الإِثْبَاتِ بِدُونِهِ، وَهَذِهِ طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ، يَقْرِنُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ غَالِبًا كما[2] فِي هَذَا الْمَوْضِعِ؛ لأَنَّ الْمَقْصُودَ لاَ يَحْصُلُ إِلاَّ بِهِمَا.

---

(١) «وكفىٰ»: زيادة من «ط».

(٢) «كما»: زيادة من «ط».

طَرِيقَةُ الْقُرْآنِ في النَّفْي والإثْباتِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾[سورة البقرة آية: ٢٥٦].

وَقَالَ: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾[سورة النحل آية: ٣٦].

وَقَالَ: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ﴾[سورة الإسراء آية: ٢٣].

وَقَالَ: ﴿كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ﴿١﴾ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ﴾[سورة هود الآيتان: ١ ـ ٢].

وَقَالَ عَنْ نَبِيِّهِ يُوسُفَ: ﴿إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾[سورة يوسف آية: ٤٠].

وَهَذَا هُوَ مَعْنَى لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّم ـ رَحِمَهُ اللَّهُ ـ: «وَطَرِيقَةُ الْقُرْآنِ فِي مِثْلِ هَذَا أَنْ يَقْرِنَ النَّفْيَ بِالإِثْبَاتِ، فَيَنْفِيَ عِبَادَةَ مَا سِوى اللهِ، وَيُثْبِتَ عِبَادَتَهُ، وَهَذَا هُوَ حَقِيقَةُ التَّوْحِيدِ، وَالنَّفْيُ الْمَحْضُ لَيْسَ بِتَوْحِيدٍ، وَكَذَلِكَ الإِثْبَاتُ بِدُونِ النَّفْيِ، فَلاَ يَكُونُ التَّوْحِيدُ إِلاَّ مُتَضَمِّنًا لِلنَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ، وَهَذَا حَقِيقَةُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» انْتَهَى(١).

البداءَةُ في النفي على الإثْباتِ أَبْلَغُ في الإِثْباتِ والاخْتِصَاصِ

وَلِذَلِكَ أَفَادَتْ هَذِهِ الْكَلِمَةُ الْحَصْرَ وَالاِخْتِصَاصَ.

وَقَرَّرَ بَعْضُ الْمُحَقِّقِينَ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ وَمَا شَابَهَهَا مِنَ الآيَاتِ الَّتِي ابْتُدِئَتْ بِنَفْيِ الإِلَهِيَّةِ وَالْعِبَادَةِ عَنْ غَيْرِ اللهِ: أَنَّ ذَلِكَ أَبْلَغُ وَآكَدُ فِي

(١) انظر: «بدائع الفوائد» لابن القيم (١/ ١٤١).

الإِثْبَاتِ وَالاِخْتِصَاصِ.

وَمِنْهُ: لاَ رَجُلَ إِلاَّ زَيْدٌ، أَوْ: لاَ كَرِيمَ إِلاَّ زَيْدٌ؛ فَإِنَّهُ مَعَ إِفَادَتِهِ نَفْيَ الصِّفَةِ عَنْ غَيْرِ الْمُسْتَثْنَى، أَفَادَ إِثْبَاتَهَا لَهُ عَلَى وَجْهِ الْكَمَالِ الَّذِي لاَ يَتَأَتَّى بِمُجَرَّدِ الإِثْبَاتِ مِنْ غَيْرِ نَفْيٍ.

التَّلاَزُمُ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ

فَلاَ يُفِيدُهُ[1] «زَيْدٌ رَجُلٌ»، أَوْ: «زَيْدٌ كَرِيمٌ»؛ وَلأَنَّ بَيْنَ النَّفْيِ وَالإِثْبَاتِ هُنَا تَلاَزُمًا[2] مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَلاَ بَرَاءَةَ مِنَ الشِّرْكِ وَعِبَادَةِ غَيْرِ اللهِ إِلاَّ بِتَوْحِيدِهِ، وَلاَ تَوْحِيدَ إِلاَّ بِالْبَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ مَعْبُودٍ سِوَى اللهِ.

وَكَمَا تَضَمَّنَتِ الْعِلْمَ، فَهِيَ تَتَضَمَّنُ الْعَمَلَ، وَلاَ يُتَصَوَّرُ وُجُودُ شَهَادَةٍ وَإِذْعَانٍ وَإِتْيَانٍ بِمَدْلُولِهَا إِلاَّ مَعَ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ، وَهَذَا الَّذِي قَرَّرْنَاهُ تَدُلُّ عَلَيْهِ عِبَارَاتُ أَهْلِ الْعِلْمِ مِنَ اللُّغَوِيِّينَ وَالْمُفَسِّرِينَ وَغَيْرِهِمْ.

وَالإِلَهُ: وُضِعَ لِكُلِّ مَعْبُودٍ، حَقًّا كَانَ أَوْ بَاطِلاً؛ لأَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ الإِلَهَةِ بِمَعْنَى الْعِبَادَةِ.

قَالَ فِي «الْقَامُوسِ»: أَلَهَ يَأْلَهُ إِلاَهَةً[3] وَأُلُوهِيَّةً: عَبَدَ يَعْبُدُ عِبَادَةً، وَكُلُّ مَنْ عَبَدَ شَيْئًا، فَقَدِ اتَّخَذَهُ إِلَهًا. انْتَهَى[4].

وَقَالَ غَيْرُهُ: «إِلَهٌ»: اِسْمُ جِنْسٍ، يَقَعُ عَلَى كُلِّ مَعْبُودٍ، وَالإِلَهُ:

---

(١) في «ط»: «فلا تفيده».

(٢) في «ط»: «تلازم».

(٣) في «ط»: «آلهة».

(٤) انظر: «القاموس المحيط» للفيروز أبادي (ص١٦٠٣)، (مادة: أله).

بِمَعْنَى الْمَأْلُوهِ؛ كَالْكِتَابِ بِمَعْنَى الْمَكْتُوبِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلَامِ: الإِلَهُ: هُوَ الَّذِي تَأْلَهُهُ الْقُلُوبُ مَحَبَّةً، وَذُلاًّ، وَإِنَابَةً، وَتَعْظِيمًا، وَتَوَكُّلاً، وَخَوْفًا، وَرَجَاءً[1].

وَكَذَا قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ وَابْنُ رَجَبٍ وَغَيْرُهُمَا مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ: وَبَعْدَ التَّعْرِيفِ وَالتَّفْخِيمِ صَارَ عَلَمًا عَلَى رَبِّنَا - جَلَّ وَعَلَا -.

قَالَ سِيبَوَيْهِ: هُوَ أَعْرَفُ الْمَعَارِفِ.

قَالَ تَعَالَى مُتَمَدِّحًا بِذَلِكَ: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ۝٦٥﴾ [سورة مريم آية: ٦٥].

وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ بِمَعْنَى الْعِبَادَةِ قَوْلُ رُؤْبَةَ[2]:

لِلَّهِ دَرُّ الْغَانِيَاتِ الْمُدَّهِ ... سَبَّحْنَ وَاسْتَرْجَعْنَ مِنْ تَأَلُّهِي[3]

يَعْنِي: تَعَبُّدِي[4].

وَقَرَأَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «وَيَذَرَكَ وَإِلَاهَتَكَ»[5]؛ أَيْ: عِبَادَتَكَ[6]، وَزْنًا وَمَعْنًى.

---

(١) انظر: «مجموع الفتاوى» لابن تيمية (١/ ١٣٦)، (١/ ٣٦٥).

(٢) انظر: «ديوانه»، (ص١٦٥).

(٣) في «ط»: «تألُّه».

(٤) في «ط»: «تعبد».

(٥) في «ط»: «وإلهتَكَ».

(٦) رواه ابن جرير الطبري في «تفسيره» (١/ ٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٣٨).

وَأَمَّا التَّعْبِيدُ، فَهُوَ فِي الأَصْلِ التَّذْلِيلُ، كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ[1]:

تُبَارِي عِتَاقًا نَاجِيَاتٍ وَأَتْبَعَتْ وَظِيفًا وَظِيفًا فَوْقَ مَوْرٍ مُعَبَّدِ

وَالْمَوْرُ الْمُعَبَّدُ هُوَ الطَّرِيقُ الْمُذَلَّلُ.

وَفِي الاصْطِلَاحِ هِيَ أَخصُّ؛ لِأَنَّهُ لاَ بُدَّ فِيهَا مِنْ وُجُودِ الرُّكْنِ الأَعْظَمِ، وَهُوَ الْحُبُّ، قَالَ فِي «الْكَافِيَةِ»[2]:

وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ غَايَةُ حُبِّهِ مَعَ ذُلِّ عَابِدِهِ هُمَا قُطْبَانِ

وَعَلَيْهِمَا فَلَكُ الْعِبَادَةِ دَائِرٌ مَا دَارَ حَتَّى قَامَتِ الْقُطْبَانِ

وَمَدَارُهُ بِالأَمْرِ أَمْرِ رَسُولِهِ لاَ بِالْهَوَى وَالنَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ[3]

ما المَقْصُودُ بِالنَّفْيِ ؟

وَالْقُطْبُ: الأُسُّ الَّذِي عَلَيْهِ الْمَدَارُ.

وَبِهَذَا يَتَبَيَّنُ أَنَّ الْمَقْصُودَ نَفْيُ اسْتِحْقَاقِ الْعِبَادَةِ عَنْ غَيْرِهِ تَعَالَى، لاَ نَفْيُ وُجُودِ التَّأَلُّهِ وَالتَّعَبُّدِ لِسِوَاهُ؛ فَإِنَّ نَفْيَ وَجُودِهِ مُكَابَرَةٌ لِلْحِسِّ وَالنَّصِّ.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾[4] [سورة مريم آية: ٨١].

وَقَالَ: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾ [سورة الصافات آية: ٨٦].

وَقَالَ عَنْ صَاحِبِ يسٓ: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ [سورة يسٓ آية: ٢٣].

---

(١) هو طرفة بن العبد، انظر: «ديوانه» (ق١/ ١٣)، (ص١٣).

(٢) انظر: «شرح الكافية الشافية» (١/ ٢٥٣).

(٣) البيتان الأخيران ساقطان من «ط».

(٤) في «ط»: «من دونه آلهة».

فَسَمَّى مَعْبُودَاتِهِمْ ـ عَلَى اخْتِلاَفِ أَجْنَاسِهَا ـ آلِهَةً، وَعِبَادَةُ غَيْرِ اللهِ وُجِدَتْ وَانْتَشَرَتْ وَاشْتَهَرَتْ فِي الأَرْضِ مِنْ عَهْدِ قَوْمِ نُوحٍ.

وقَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ مَنْ عَبَدَ شَيْئًا، فَقَدِ اتَّخَذَهُ إِلَهًا، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[سورة الكافرون آية: ١].

خطأٌ في تَقْدِيرِ خَبَرِ «لا».

وقَدْ غَلِطَ هُنَا بَعْضُ الأَغْبِيَاءِ، وَقَدَّرَ الْخَبَرَ: «مَوْجُودٌ»، وَبَعْضُهُمْ قَدَّرَهُ: «مُمْكِنٌ»، وَمَعْنَاهُ أَنَّهُ لاَ يُوجَدُ وَلاَ يُمْكِنُ وُجُودُ إِلَهٍ آخَرَ، وَهَذَا جَهْلٌ بِمَعْنَى الإِلَهِ، وَلَوْ أُرِيدَ بِهَذَا الاِسْمِ الإِلَهُ الْحَقُّ وَحْدَهُ، لَمَا صَحَّ النَّفْيُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ.

الصَّوَابُ في تقدير خبر «لا».

والصَّوَابُ: أَنْ يُقَدَّرَ الْخَبَرُ: «حَقٌّ»؛ لأَنَّ النِّزَاعَ بَيْنَ الرُّسُلِ وَقَوْمِهِمْ فِي كَوْنِ آلِهَتِهِمْ حَقًّا أَوْ بَاطِلاً.

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[سورة سبأ آية: ٢٤].

لا نِزاعَ في إِلَهِيَّةِ اللهِ

وأَمَّا إِلَهِيَّةُ اللهِ، فَلاَ نِزَاعَ فِيهَا، وَلَمْ يَنْفِهَا أَحَدٌ مِمَّنْ يَعْتَرِفُ بِالرُّبُوبِيَّةِ، لَكِنْ زَعَمُوا أَنَّ إِلَهِيَّةَ أَنْدَادِهِمْ وَأَصْنَامِهِمْ حَقٌّ أَيْضًا.

زَعْمُ أحقية إلهيةِ الأندادِ والأصنامِ زعمٌ باطلٌ

وَلِذَلِكَ قَالَتْ لَهُمْ الرُّسُلُ[1]: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾[سورة الأعراف آية: ٥٩].

وبَادَرَ مِنْهُمْ مَنْ جَحَدَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾[سورة صٓ آية: ٥] لَمَّا دُعِيَ إِلَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، فَأَنْكَرُوا إِبْطَالَ عِبَادَتِهَا الْمُسْتَلْزِمَ لإِبْطَالِ تَسْمِيَتِهَا.

---

(١) في «ط»: «رسلهم».

وَهَذَا مُسْتَفِيضٌ عِنْدَهُمْ، قَدِ ارْتَاضَتْ بِهِ أَلْسِنَتُهُمْ، لاَ يَحْتَاجُونَ فِيهِ إِلَى مُوْقِفٍ وَمُعْلِمٍ، بَلْ عَرَفُوهُ بِمُجَرَّدِ الْوَضْعِ.

معرفة أبي جهلٍ لمعنى كلمةِ التوحيد

قَالَ أَبُو جَهْلٍ لأَبِي طَالِبٍ لَمَّا دَعَاهُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى كَلِمَةِ الإِخْلاَصِ: «أَتَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟»[1]، فَعَرَفَ بِعَرَبِيَّتِهِ أَنَّهَا تُبْطِلُ عِبَادَةَ وَإِلَهِيَّةَ مَنْ عَبَدَهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ وَقَوْمُهُ، وَهَذَا قَصْرُ إِفْرَادٍ لاَ قَصْرُ قَلْبٍ؛ لأَنَّ الْمَقْصُودَ إِفْرَادُهُ بِالإِلَهِيَّةِ وَاسْتِحْقَاقِهَا.

فَيَكُونُ النَّفْيُ عَلَى هَذَا مُنْصَبًّا عَلَى الْخَبَرِ، وَهُوَ «حَقٌّ» الْمُقَدَّرُ، فَتَقْدِيرُهُ[2] مَوْجُودٌ أَوْ مُمْكِنٌ لاَ يُفِيدُ مَا تَقَدَّمَ إِلاَّ إِذَا وُصِفَ الاِسْمُ بِـ«حَقٌّ».

وَقِيلَ: لاَ إِلَهَ حَقٌّ مَوْجُودٌ، فَحِينَئِذٍ يَسْتَقِيمُ الْكَلاَمُ، وَيَرْجِعُ إِلَى مَا قُلْنَا.

وَ«لاَ» هَذِهِ هِيَ النَّافِيَةُ لِلْجِنْسِ، وَاسْمُهَا يُبْنَى مَعَهَا عَلَى الْفَتْحِ، عَلَى الْمَشْهُورِ، وَالْخَبَرُ مَا مَرَّ تَقْدِيرُهُ، وَ«إِلاَّ» أَدَاةُ اسْتِثْنَاءٍ، وَمَا بَعْدَهَا هُوَ الْمُسْتَثْنَى، وَهُوَ مَرْفُوعٌ، وَالْعَامِلُ فِيهِ هُوَ الْعَامِلُ فِي الْخَبَرِ؛ لأَنَّهُ بَدَلٌ مِنْهُ عِنْدَ الْبَصْرِيِّينَ، وَعِنْدَ الْكُوفِيِّينَ هُوَ عَطْفُ نَسَقٍ.

قَالَ ثَعْلَبٌ: كَيْفَ يَكُونُ بَدَلاً وَهُوَ مُوجَبٌ، وَمَتْبُوعُهُ[3] مَنْفِيٌّ؟ يُرِيدُ

---

(١) رواه البخاري: الجنائز (١٢٩٤)، ومسلم: الإيمان (٢٤)، عن سعيد بن المسيّب، عن أبيه.

(٢) في «ط»: «وتقديره».

(٣) في «ط»: «ومتنوعة».

أَنَّ التَّابِعَ وَالْمَتْبُوعَ لاَ بُدَّ أَنْ يَتَوَافَقَا نَفْيًا وَإِثْبَاتًا.

وَأُجِيبَ عَنْهُ بِأَنَّهُ بَدَلٌ مِنْهُ فِي عَمَلِ الْعَامِلِ، وَتَخَالُفُهُمَا فِي النَّفْيِ وَالإِيجَابِ لاَ يَمْنَعُ الْبَدَلِيَّةَ.

وَأَجَابَ خَالِدٌ الأَزْهَرِيُّ بِأَنَّ مَحَلَّ اشْتِرَاطِ ذَلِكَ فِي غَيْرِ بَدَلِ الْبَعْضِ.

قُلْتُ: وَبِمَا قَالُوهُ يُعْلَمُ أَنَّ الْمُسْتَثْنَى مُغَايِرٌ لِلْمُسْتَثْنَى مِنْهُ مَعْنًى وَلَفْظًا، فَمِنْ أَجْهَلِ خَلْقِ اللهِ وَأَضَلِّهِمْ مَنْ فَهِمَ دُخُولَ الْمُثْبَتِ فِي الْمَنْفِيِّ وَالْمُسْتَثْنَى فِي الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، فَكَيْفَ يَتَوَهَّمُ مَنْ يَعْقِلُ مَا يَقُولُ دُخُولَ الْمُثْبَتِ فِي الْمَنْفِيِّ[1] - «الإِلَهُ الْحَقُّ» - فِي اسْمِ «لاَ» الْمَنْفِيِّ، وَهَلْ بَعْدَ هَذَا التَّوَهُّمِ مِنَ الضَّلاَلِ أَمَدٌ يُنْتَهَى إِلَيْهِ؟

من معاني «إلاَّ»

وَقَدْ تَرِدُ «إِلاَّ» بِمَعْنَى «غَيْرَ» كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾[سورة الأنبياء آية: ٢٢]، وَذَلِكَ إِذَا كَانَ الْمَوْصُوفُ جَمْعًا أَوْ شِبْهَهُ.

وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ الاسْتِفْتَاحِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ وَلاَ إِلَهَ غَيْرُكَ»[2]، وَعَاقَبَتْ «غَيْرُ»، «إِلاَّ» فِي هَذَا الْمَحَلِّ، وَهِيَ تُفِيدُ مُغَايَرَةَ مَا قَبْلَهَا لِمَا بَعْدَهَا بِالذَّاتِ؛ كَمَا إِذَا قُلْتَ: جَاءَنِي رَجُلٌ غَيْرَ زَيْدٍ، أَوْ فِي الصِّفَاتِ؛ كَقَوْلِكَ: خَرَجْتَ بِوَجْهٍ غَيْرَ الَّذِي دَخَلْتَ بِهِ.

❐ ❐ ❐

---

(١) «المثبت في المنفي» ساقطة من «ط».

(٢) رواه أبو داود: الصلاة (٧٧٦)، والترمذي: الصلاة (٢٤٣)، وابن ماجه: إقامة الصلاة والسنة فيها (٨٠٦)، عن عائشة - رضي الله عنها -.

[الـرد علىٰ الرسـالة]

إِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ، فَاعْلَمْ أَنَّهُ رُفِعَ لِي[1] رِسَالَةٌ لِرَجُلٍ فَارِسِيٍّ تَكَلَّمَ فِيهَا عَلَى مَعْنَى «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»، وَأَتَى بِخَلْطٍ وَضَلاَلٍ يُخَالِفُ مَا عَلَيْهِ أَهْلُ الْعِلْمِ فِي هَذَا الْمَقَامِ.

*[خطأُ عبارةِ: «المتوحِّد بجميع الجهات»]

*** مِنْ ذَلِكَ أَنَّهُ افْتَتَحَ رِسَالَتَهُ بِقَوْلِهِ: «الْحَمْدُ للهِ الْمُتَوَحِّدِ بِجَمِيعِ الْجِهَاتِ.**

وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ دَائِرَةٌ بَيْنَ أَمْرَيْنِ:

إِمَّا سُوءُ الْمُعْتَقَدِ، وَالْقَوْلُ بِأَنَّهُ ـ تَعَالَى ـ فِي كُلِّ مَكَانٍ كَمَا هُوَ قَوْلُ أَهْلِ الْحُلُولِ.

وَإِمَّا الْجَهْلُ بِالْعَرَبِيَّةِ وَمَعَانِي الْحُرُوفِ، وَلاَ يُقَالُ: إِنَّ «الْبَاءَ» بِمَعْنَى «مِنْ»؛ لأَنَّهَا لاَ تَنُوبُ إِلاَّ عَنْ «مِنْ» التَّبْعِيضِيَّةِ، وَيُشْتَرَطُ فِي نِيَابَتِهَا أَنْ

---

(١) في «ط»: «إليَّ».

تُشْرَبَ مَعْنًى لاَ يُسْتَفَادُ مِنْ «مِنْ»، وَقَدِ اجْتَمَعَ الأَمْرَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾[سورة الإنسان آية: ٦]، وَقَوْلِ الشَّاعِرِ[1]:

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَّعَتْ ... مَتَى لُجَجٍ خُضْرٍ لَهُنَّ نَئِيجُ

*[خَطَأُ عبارةِ: «وبالله التمسك»]

*ثمَّ قَالَ فِي رِسَالَتِهِ: «وَبِاَللهِ التَّمَسُّكُ وَالاِعْتِصَامُ».

وَالتَّمَسُّكُ إِنَّمَا يَكُونُ بِدِينِهِ، وَكِتَابِهِ، وَأَمْرِهِ، وَلاَ يُقَالُ: تَمَسَّكْتُ بِاللهِ؛ لأَنَّ التَّمَسُّكَ بِمَعْنَى الاِلْتِزَامِ، وَالأَخْذِ، وَالثَّبَاتِ، وَلاَ تَلِيقُ هَذِهِ الْمَعَانِي هَاهُنَا.

*[الخطأ في معنى الإله واللغة]

* وَقَالَ فِي رِسَالَتِهِ: «إِنَّ الإِلَهَ وُضِعَ فِي اللُّغَةِ لِلْمَعْبُودِ فَقَطْ، لاَ بِقَيْدِ الْحَقِيقَةِ أَوِ الْبُطْلاَنِ».

وَهَذِهِ الْعِبَارَةُ كَذِبٌ عَلَى اللُّغَةِ؛ فَإِنَّ كُتُبَ اللُّغَةِ بِأَجْمَعِهَا دَلَّتْ وَقَرَّرَتْ أَنَّ «إِلَهٌ»[2] مَوْضُوعٌ لِكُلِّ مَعْبُودٍ، وَأَدِلَّةُ ذَلِكَ تُعْرَفُ فِي مَوَاضِعِهَا، فَلاَ نُطِيلُ بِذِكْرِهَا.

---

(١) هو أبو ذؤيب الهذلي، انظر: «ديوانه»، (ص: ٤٧)، و«ديوان الهذليين» (١/ ٥١)، و«خزانة الأدب» (٧/ ٩٧)، وقوله: «لهن نئيج» أي: مَرٌّ سريع.

(٢) في «ط»: «الإلـه».

وَأَيْضًا هَذِهِ الْعِبَارَةُ فَاسِدَةٌ مِنْ جِهَةِ الْمَعْنَى؛ فَإِنَّهُ لاَ يُتَصَوَّرُ وَلاَ يُوجَدُ إِلَهٌ غَيْرُ مُقَيَّدٍ، وَلاَ مَوْصُوفٌ بِحَقٍّ أَوْ بَاطِلٍ، هَذَا كَلاَمٌ لاَ يُعْقَلُ، فَكَيْفَ يُنْسَبُ إِلَى اللُّغَةِ أَوْ يُنْقَلُ؛ فَإِنَّ الْقِسْمَةَ فِي مُسَمَّى الإِلَهِ ثُنَائِيَّةٌ، إِمَّا حَقٌّ أَوْ بَاطِلٌ، وَتَجْوِيزُ الثَّالِثِ مُسْتَحِيلٌ عَقْلاً وَشَرْعًا، وَلاَ يَقُولُ هَذِهِ الْعِبَارَةَ إِلاَّ مَخْبُولٌ فِي عَقْلِهِ، جَاهِلٌ فِي حِكَايَتِهِ وَنَقْلِهِ.

*[خطأ القول بأن آلهة المشركين سميت آلهة باعتبار زعم من عبدها]

* **وَقَالَ فِي رِسَالَتِهِ: «إِنَّ الإِلَهَ فِي «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» وَاقِعٌ عَلَى الإِلـه[1] الْحَقِّ، وَسُمِّيَتْ آلِهَةُ الْمُشْرِكِينَ[2] آلِهَةً بِاعْتِبَارِ زَعْمِ مَنْ عَبَدَهَا».**

وَهَذَا مِنْهُ جَهْلٌ عَرِيضٌ، وَظُلُمَاتٌ مُرَكَّبَةٌ، كَيْفَ يَقَعُ فِي ذِهْنِ مَنْ لَهُ أَدْنَى تَعَقُّلٍ وَتَفَهُّمٍ تَجْوِيزُ ذَلِكَ، وَأَنَّ اللهَ وَرَسُولَهُ يُسَمِّيهَا آلِهَةً بِاعْتِبَارِ زَعْمِهِمْ، وَيُجَارِيهِمْ فِي هَذَا الزَّعْمِ وَالتَّسْمِيَةِ، ثُمَّ يُكَفِّرُهُمْ بِهَذَا، وَيُبِيحُ دِمَاءَهُمْ، وَأَمْوَالَهُمْ، وَنِسَاءَهُمْ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ، وَيُرَتِّبُ عَلَى تَرْكِهِ وَالْبَرَاءَةِ مِنْهُ مَا رَتَّبَهُ مِنَ الإِسْلاَمِ وَالإِيمَانِ وَالأَحْكَامِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالأُخْرَوِيَّةِ؟

وَلَوْ جَارَى قُرَيْشًا، وَسَمَّاهَا اسْمًا يَخْتَصُّ[3] بِالْحَقِّ، لَمَا حَصَلَ التَّوْحِيدُ وَالإِيمَانُ مِنْ مَدْلُولِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَلَمَا قَالُوا لَهُ: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا

---

(١) «الإلـه» ساقطة من «خ».

(٢) «آلهة المشركين»: سقاطة من «ط».

(٣) في «ط»: «تختص».

وَاحِدًا﴾ (1)[سورة صٓ آية:٥]؛ لأَنَّ الْمُثْبَتَ عَيْنُ الْمَنْفِيِّ عَلَى زَعْمِ هَذَا، وَهُوَ الإِلَهُ الْحَقُّ، وَهَذَا تَغْيِيرٌ لِدِينِ الإِسْلاَمِ، وَإِلْحَادٌ فِي مَعْنَى كَلِمَةِ الإِخْلاَصِ، وَتَأْيِيدٌ لِمَا زَعَمَهُ عُبَّادُ الأَصْنَامِ مِنْ أَنَّهَا حَقٌّ لاَ بَاطِلٌ، ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾[سورة الأنعام آية: ٣٧].

وَلِذَلِكَ رَاجَ بَهْرَجُهُ عَلَى جَهَلَةِ الْمُدَّعِينَ لِلطَّلَبِ، أَتْبَاعِ كُلِّ نَاعِقٍ، الَّذِينَ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ، وَلَمْ يَلْجَؤُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ فِي الْمُعْتَقَدِ، فَأَيُّ رِيحٍ هَبَّتْ، مَالَتْ بِهِمْ، وَأَيُّ غَرَضٍ عَرَضَ، عَصَفَهُمْ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْحَوْرِ بَعْدَ الْكَوْرِ، وَمِنَ الضَّلاَلِ بَعْدَ الْهُدَى، وَمِنَ الْغَيِّ بَعْدَ الرَّشَادِ.

وَيَرُدُّهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾[سورة الأنعام آية: ٣٣].

وَقَوْلُهُ: ﴿ وَجَحَدُواْ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ﴾[سورة النمل آية: ١٤] الآيَةَ.

فَإِنَّ فِيهَا أَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ بُطْلاَنَهَا، وَلاَ يَعْتَقِدُونَ فِي الْبَاطِنِ أَنَّهَا حَقٌّ.

وَهَذَا يُبْطِلُ قَوْلَهُ: «سُمِّيَتْ آلِهَةً بِاعْتِبَارِ اعْتِقَادِ مَنْ عَبَدَهَا»، وَيُبْطِلُ قَوْلَهُ: «إِنَّ(2) الْعِبَادَةَ لاَ تُسَمَّى عِبَادَةً إِلاَّ مَعَ اعْتِقَادِ الْعَابِدِ أَنَّهَا حَقٌّ».

*[خطأ قول الفارسي: إن «إله» وضع للمفهوم الكلي]

* وَقَالَ فِي رِسَالَتِهِ: «إِنَّ «إِلَهٌ» وُضِعَ لِلْمَفْهُومِ الْكُلِّيِّ»، يُرِيدُ بِهِ تَقْرِيرَ

---

(1) في «ط»: ﴿ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾[الروم: ٣٠].

(2) في «ط»: «وإن».

مَا مَرَّ مِنَ الْبَاطِلِ ـ وَالْكُلِّيُّ هُوَ الَّذِي لاَ يَتَقَيَّدُ بِذَاتٍ وَلاَ بِصِفَةٍ ـ.

وَهَذِهِ قَضِيَّةٌ كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ، لَمْ يُوضَعْ إِلاَّ لِلْجِنْسِ الشَّائِعِ فِي أَفْرَادِهِ، وَالْمَعَانِي الْكُلِّيَّةُ لاَ تُوجَدُ إِلاَّ ذِهْنِيَّةً لاَ خَارِجِيَّةً؛ وَلِذَلِكَ ضَلَّ مَنْ ضَلَّ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ فِي إِثْبَاتِ وُجُودِ الرَّبِّ، وَوُجُودِ ذَاتِهِ، وَقَالَ بِنَفْيِ الصِّفَاتِ بِنَاءً عَلَى أَنَّ الْكُلِّيَّ لاَ يَتَقَيَّدُ وَلاَ يَتَخَصَّصُ بِصِفَةٍ مِنَ الصِّفَاتِ، وَهَذَا مِنْ أَكْبَرِ قَوَاعِدِهِمْ وَإِفْكِهِمُ الَّذِي جَرَّ إِلَيْهِمُ الْكُفْرَ الْجَلِيَّ، وَجَحْدَ مَا فِي الْكِتَابِ[1] مِنَ الصِّفَاتِ، وَكَلاَمُ السَّلَفِ فِي تَكْفِيرِهِمْ وَتَضْلِيلِهِمْ مَوْجُودٌ مَشْهُورٌ لاَ نُطِيلُ بِذِكْرِهِ.

فَمِنْ أَقَلِّ مَا قِيلَ فِيهِمْ: قَوْلُ مُحَمَّدِ بْنِ إِدْرِيسَ الشَّافِعِيِّ: «حُكْمِي فِي أَهْلِ الْكَلاَمِ أَنْ يُضْرَبُوا بِالْجَرِيدِ، وَالنِّعَالِ، وَيُطَافَ بِهِمْ فِي الْعَشَائِرِ، وَالْقَبَائِلِ، وَيُقَالَ: هَذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْكِتَابَ وَالسُّنَّةَ، وَأَقْبَلَ عَلَى عِلْمِ الْكَلاَمِ»[2].

وَأَصْلُ ضَلاَلِ جَهْمٍ أَنَّهُ لَقِيَ قَوْمًا مِنَ السُّمَنِيَّةِ، فَجَادَلَهُمْ بِالْكَلاَمِ وَالْمَنْطِقِ، فَقَالُوا لَهُ: أَلَسْتَ تَزْعُمُ أَنَّ لَكَ إِلَهًا؟! قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: فَهَلْ رَأَيْتَهُ؟ هَلْ سَمِعْتَهُ أَوْ لَمَسْتَهُ أَوْ ذُقْتَهُ؟ قَالَ: لاَ. فَتَحَيَّرَ الْخَبِيثُ أَرْبَعِينَ يَوْمًا، لاَ يَدْرِي مَنْ يَعْبُدُ، ثُمَّ اسْتَدْرَكَ حُجَّةً مِنْ جِنْسِ حُجَجِ النَّصَارَى،

---

(١) في «ط»: زيادة «والسنة».

(٢) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٩/ ١١٦)، والخطيب في «شرف أصحاب الحديث» (ص: ٧٨).

وَقَالَ لَهُمْ: أَنْتُمْ تَقُولُونَ بِوُجُودِ الرُّوحِ، هَلْ رَأَيْتُمُوهَا أَوْ سَمِعْتُمُوهَا أَوْ لَمَسْتُمُوهَا أَوْ ذُقْتُمُوهَا؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: فَكَذَلِكَ هُوَ رُوحٌ غَائِبٌ عَنِ الأَبْصَارِ.

وَهَذَا الْكَلاَمُ الَّذِي أَوْرَدَهُ السُّمَنِيَّةُ عَلَى جَهْمٍ بَاطِلٌ مُمَوَّهٌ، وَهَؤُلاَءِ يُقَالُ لَهُمْ: السُّفُسْطَائِيَّةُ، وَأَصْلُ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَمَعْنَاهَا: الْحِكْمَةُ الْمُمَوَّهَةُ. وَحَقُّ الْكَلاَمِ أَنْ يُقَالَ: مَا لاَ يُحَسُّ وَلاَ يُمْكِنُ الإِحْسَاسُ بِهِ، لاَ يَكُونُ مَوْجُودًا، فَمَوَّهُوا بِأَنَّ مَا لاَ يُحِسُّهُ هُوَ وَيُدْرِكُهُ بِحَوَاسِّهِ، لاَ يَكُونُ مَوْجُودًا، فَارْتَبَكَ الْغَبِيُّ، وَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ مَا لاَ يُمْكِنُ إِحْسَاسُهُ، وَمَا لاَ يُدْرِكُهُ هُوَ بِحَاسَّتِهِ.

فَأَجَابَ بِجَوَابِهِ الْفَاسِدِ الْمُتَقَدِّمِ، وَلَوْ هُدِيَ لِلْعَقْلِ وَالنَّقْلِ، لَفَرَّقَ بَيْنَ الْعِبَارَتَيْنِ، وَقَالَ لَهُمْ: اللهُ تَعَالَى يُمْكِنُ الإِحْسَاسُ بِهِ، فَيُرَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُسْمَعُ كَلاَمُهُ، وَقَدْ أَدْرَكَ مُوسَى كَلاَمَهُ بِحَاسَّةِ سَمْعِهِ، وَسَمِعَتْهُ مَلاَئِكَتُهُ، وَمَا شَاءَ مِنْ خَلْقِهِ، وَالإِنْسَانُ يُقِرُّ ضَرُورَةً بِوُجُودِ أَشْيَاءَ لاَ يُحِسُّ بِهَا هُوَ؛ مِمَّا يُعْرَفُ بِضَرُورَةِ الْعَقْلِ؛ كَوُجُودِ بَعْضِ الأَمَاكِنِ وَالأُمَمِ، بَلْ وَأَصْلُهُ الَّذِي تَكَوَّنَ مِنْهُ، وَهُوَ مَادَّتُهُ، لاَ يُحِسُّ بِهِ هُوَ، وَلاَ يُنْكِرُهُ عَاقِلٌ، لَكِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ يُحِسَّ بِهِ غَيْرُهُ.

فَإِحْسَاسُ الإِنْسَانِ نَوْعٌ، وَإِمْكَانُ الإِحْسَاسِ نَوْعٌ آخَرُ، وَبِسَبَبِ عَدَمِ التَّفْرِقَةِ ضَلَّ جَهْمٌ وَشِيعَتُهُ، وَجَرَّهُ الْكَلاَمُ الْمُمَوَّهُ إِلَى الْكُفْرِ الْبَوَاحِ، وَالاِنْسِلاَخِ مِنَ الدِّينِ، فَكَيْفَ يَقُولُ عَاقِلٌ بِقَوْلٍ لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ، وَلاَ يَصِحُّ لَهُ

مَعْنًى عِنْدَ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالإيمَانِ، وَيَعْتَمِدُ عِبَارَةً مَنْطِقِيَّةً فِي مِثْلِ هَذَا الشَّأْنِ، هَذَا لَوْ سُلِّمَ أَنَّ الْمَنَاطِقَةَ أَوْرَدُوهَا هُنَا.

وَالصَّوَابُ أَنَّهَا مُخْتَلَقَةٌ لاَ مَحْكِيَّةٌ، مَعَ أَنَّ عِبَارَةَ صَاحِبِ هَذِهِ الرِّسَالَةِ فَاسِدَةٌ مِنْ جِهَةٍ أُخْرَى، وَهُوَ أَنَّهُ زَعَمَ فِي أَوَّلِ رِسَالَتِهِ: أَنَّ الْمُرَادَ بِاسْمِ الإِلَهِ: هُوَ الإِلَهُ الْحَقُّ، وَأَنَّ آلِهَةَ الْمُشْرِكِينَ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ بِاعْتِبَارِ اعْتِقَادِهِمْ فِيهَا، وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا عَنْهُ، وَلَكِنْ سِيقَ هُنَا لِبَيَانِ تَنَاقُضِهِ؛ فَإِنَّ التَّقْيِيدَ يُنَافِي الْمَعْنَى الْكُلِّيَّ، فَكَلاَمُهُ تَخْرِيفٌ وَظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ، ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[سورة النور آية: ٤٠]، وَفِي آخِرِ كَلاَمِهِ اضْطَرَبَ وَقَالَ: وُضِعَ لِلْمَفْهُومِ الْكُلِّيِّ، وَإِنْ لَمْ يُوجَدْ مِنْهُ إِلاَّ فَرْدٌ كَالشَّمْسِ، وَهَذَا مَعَ مُخَالَفَتِهِ مَا تَقَدَّمَ، فَهُوَ غَلَطٌ قَبِيحٌ مِنْ وُجُوهٍ:

مِنْهَا: أَنَّهُ يَلْزَمُ عَلَيْهِ أَنَّ الْمَنْفِيَّ عَيْنُ الْمُثْبَتِ، وَأَنَّ «إِلَهٌ» مُسَاوٍ[1] لاِسْمِ اللهِ فِي مَعْنَاهُ، وَمَدْلُولِهِ، وَهَذَا ضَلاَلٌ مُبِينٌ، وَلاَ يَسْتَقِيمُ مَعَهُ نَفْيُ إِلَهِيَّةِ مَا سِوَى اللهِ، وَلاَ تَدُلُّ الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ عَلَى التَّوْحِيدِ، عَلَى زَعْمِ هَذَا؛ لأَنَّ الْمَنْفِيَّ هُوَ الْمُثْبَتُ، فَأَيُّ نَفْيٍ وَأَيُّ تَوْحِيدٍ يَبْقَى مَعَ اتِّحَادِهِمَا مَعْنًى؟! وَقَدْ تَقَدَّمَ إِبْطَالُ هَذَا وَرَدُّهُ، وَأَنَّ اللهَ سَمَّى مَعْبُودَاتِ الْمُشْرِكِينَ آلِهَةً، وَأَبْطَلَ عِبَادَتَهَا، وَإِلَهِيَّتَهَا.

وَقَدْ تَقَدَّمَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا﴾[سورة مريم، آية: ٨١].

---

(١) في «ط»: «وأنه مُسَاوٍ».

وَقَوْلُهُ عَنْ صَاحِبِ يسٓ: ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾[سورة يسٓ، آية: ٢٣]، فَسَمَّاهَا آلِهَةً، مَعَ الْحُكْمِ بِأَنَّهَا لاَ تُغْنِي عَنْهُمْ شَيْئًا، وَلاَ يُنْقِذُونَهُمْ.

وَقَالَ مُنْكِرًا عَلَى مَنْ عَبَدَ سِوَاهُ، ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾[سورة يسٓ، آية: ٧٤].

وَحَكَى عَنْ خَلِيلِهِ إِبْرَاهِيمَ: أَنَّهُ قَالَ لِقَوْمِهِ: ﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾[سورة الصافات، آية: ٨٦]، جَعَلَهَا إِفْكًا مَعَ تَسْمِيَتِهَا آلِهَةً.

فَأَيُّ شُبْهَةٍ تَبْقَى مَعَ هَذَا؟ وَكَيْفَ يَقُولُ مَنْ يَسْمَعُ هَذِهِ الآيَاتِ وَيَفْهَمُهَا: إِنَّ اللهَ سَمَّاهَا آلِهَةً بِاعْتِبَارِ اعْتِقَادِ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّ «إِلَهٌ» وُضِعَ لِلإِلَهِ الْحَقِّ، وَلاَ يُقَالُ لِغَيْرِهِ إِلَهٌ، فَنَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْجَهْلِ الْمُعْمِي[1].

وَقَوْلُ الْمَنَاطِقَةِ: إِنَّ الشَّمْسَ وُضِعَتْ لِكُلِّ كَوْكَبٍ نَهَارِيٍّ، مَرْدُودٌ؛ لأَنَّ اللهَ هُوَ الَّذِي وَضَعَ الأَسْمَاءَ، وَعَلَّمَهَا آدَمَ، وَحِينَ التَّعْلِيمِ وَالْوَضْعِ، لَمْ يَكُنْ فِي الْخَارِجِ إِلاَّ هَذَا الْكَوْكَبُ الْمَعْرُوفُ، فَدَعْوَى دُخُولِ غَيْرِهِ ـ لَوْ فُرِضَ وُجُودُهُ ـ بَاطِلٌ.

*[الرد عليه في زعمه أن الاستثناء وقع من الإخراج المَنْوي]

* وَقَالَ فِي رِسَالَتِهِ: «إِنَّ الاِسْتِثْنَاءَ وَقَعَ مِنَ الإِخْرَاجِ الْمَنْوِيِّ».

يُرِيدُ بِهِ: الْجَوَابَ عَنِ الاِعْتِرَاضِ الَّذِي مَرَّ، وَهُوَ أَنَّ كَلِمَةَ التَّوْحِيدِ ـ عَلَى تَقْدِيرِهِ ـ لاَ تُفِيدُ النَّفْيَ وَالإِبْطَالَ لآلِهَةِ الْمُشْرِكِينَ، وَلِكُلِّ مَا عُبِدَ مِنْ

---

(١) في «ط»: «وَالعَمَىٰ».

دُونِ اللهِ، وَأَنَّ الْمُثْبَتَ عَيْنُ[1] الْمَنْفِيِّ، وَالْمُسْتَثْنَى نَفْسُ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ.

وَحَاصِلُ جَوَابِهِ: أَنَّ الإِخْرَاجَ وَالإِبْطَالَ وَقَعَ بِالنِّيَّةِ، فَاسْتُثْنِيَ مِنْ هَذَا[2] الْمَنْوِيُّ، وَهَذَا تَصْرِيحٌ مِنْهُ بِأَنَّ «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» مَا نَفَتْ وَلاَ أَخْرَجَتْ وَلاَ أَبْطَلَتْ شَيْئًا إِلاَّ بِالنِّيَّةِ، وَأَنَّهَا لَمْ تَدُلَّ عَلَى التَّوْحِيدِ بِاللَّفْظِ، وَهَذَا الْجَهْلُ الْعَرِيضُ الأَكْبَرُ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ سَابِقٌ، وَلَمْ يَقُلْ بِهِ مَنْ يَفْهَمُ[3] مَعْنَى الْكَلاَمِ، حَتَّى الْمُشْرِكُونَ يَعْرِفُونَ وَيَفْهَمُونَ مِنْ هَذِهِ الْكَلِمَةِ إِبْطَالَ آلِهَتِهِمْ وَنَفْيَ اسْتِحْقَاقِهَا الْعِبَادَةَ[4]، وَلِذَلِكَ قَالُوا: ﴿أَجَعَلَ ٱلْآلِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا﴾[سورة صٓ آية: ٥]، فَعَرَفُوا النَّفْيَ، وَأَنَّهُ مِنَ اللَّفْظِ، وَعَرَفُوا الْمَعْنَى الْمَقْصُودَ مِنَ الإِلَهِ، وَعَرَفُوا الْمُرَادَ مَنَ الاِسْتِثْنَاءِ، وَكُلُّ هَذَا عَرَفُوهُ بِمُجَرَّدِ اللُّغَةِ، وَكَوْنِهِمْ عَرَبًا.

فَجَاءَ هَذَا الْفَارِسِيُّ الَّذِي لاَ يَعْرِفُ لُغَتَهُمْ، وَلاَ يُحْسِنُ شَيْئًا مِنْهَا، فَخَبَطَ خَبْطَ عَشْوَاءَ، وَهَرْوَلَ، وَلَكِنَّهُ فِي ظَلْمَاءَ، شِعْرًا:

مَا كُلُّ دَاعٍ بِأَهْلٍ أَنْ يُصَاخَ لَهُ
كَمْ قَدْ أَصَمَّ بِنَعْيٍ بَعْضُ مَنْ نَاجَى[5][6]

---

(١) في «ط»: زيادة «هذا».

(٢) «هذا»: زيادة من «ط».

(٣) في «ط»: «من يعرفُ».

(٤) في «ط»: «للعبادة».

(٥) في «ط»: «ناحا».

(٦) انظر: «مقامات الحريري» (ص٢٦٨)، في المقامات الرملية.

وَهَذَا الْقَوْلُ لَمْ يَسْبِقْهُ إِلَيْهِ عَاقِلٌ يَفْهَمُ مَا يَقُولُ، وَالنُّحَاةُ مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ الاِسْتِثْنَاءَ مِنَ الْمَذْكُورِ لَفْظُهُ أَوْ حُكْمُهُ[١]، إِلاَّ أَنَّ السُّهَيْلِيَّ قَالَ: لَمْ يَدْخُلِ الْمُسْتَثْنَى فِي الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، بَلِ الاِسْتِثْنَاءُ أَثْبَتَ حُكْمًا مُسْتَقِلاًّ مُغَايِرًا لِمَا قَبْلَهُ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الاِسْتِثْنَاءُ أُخْرِجَ مِنَ الْحُكْمِ الْمَذْكُورِ، لاَ مِنَ اللَّفْظِ، وَمَذْهَبُ الْجُمْهُورِ: أَنَّ الاِسْتِثْنَاءَ مِنَ اللَّفْظِ وَالْحُكْمِ مَعًا، الاِسْمُ مِنَ الاِسْمِ، وَالْحُكْمُ مِنَ الْحُكْمِ، وَمِنَ الْمُمْتَنِعِ: إِخْرَاجُ الاِسْمِ الْمُسْتَثْنَى مِنْهُ، مَعَ دُخُولِهِ تَحْتَهُ فِي الْحُكْمِ؛ فَإِنَّهُ لاَ يُعْقَلُ الإِخْرَاجُ حِينَئِذٍ الْبَتَّةَ؛ فَإِنَّهُ لَوْ شَارَكَهُ فِي حُكْمِهِ، لَدَخَلَ مَعَهُ فِي الْحُكْمِ وَالاِسْمِ جَمِيعًا، فَكَانَ اسْتِثْنَاؤُهُ غَيْرَ مَعْقُولٍ.

ورَدَّ أَهْلُ هَذَا الْقَوْلِ زَعْمَ مَنْ زَعَمَ أَنَّ الْمُسْتَثْنَى مَسْكُوتٌ عَنْ حُكْمِهِ قَبْلَ الاِسْتِثْنَاءِ، نَفْيًا وَإِثْبَاتًا، وَأَبْطَلُوا ذَلِكَ مِنْ وُجُوهٍ:

مِنْهَا: أَنَّك إِذَا قُلْتَ: مَا قَامَ إِلاَّ زَيْدٌ، وَمَا ضَرَبْتُ إِلاَّ عَمْرًا، ذَلِكَ[٢] وَنَحْوُ ذَلِكَ مِنَ الاِسْتِثْنَاءَاتِ الْمُفَرَّغَةِ، لَمْ يَشُكَّ السَّامِعُ أَنَّ الأَحْكَامَ الْمَذْكُورَةَ أُثْبِتَتْ لِمَا بَعْدَ «إِلاَّ» كَمَا سُلِبَتْ عَنْ غَيْرِهِ، وَلَوْ قِيلَ: إِنَّهُ مَسْكُوتٌ عَنْهُ، لَمَا أَفْهَمَ إِثْبَاتَ هَذِهِ الأَفْعَالِ لِمَا بَعْدَ «إِلاَّ».

وَمِنْهَا: أَنَّهُ لَوْ كَانَ مَسْكُوتًا عَنْهُ، لَمْ يَدْخُلِ الرَّجُلُ فِي الإِسْلاَمِ

---

(١) في «ط»: «وحكمه».

(٢) «ذلك»: ساقطة من «ط».

بِقَوْلِهِ[1]: «لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ»؛ لأَنَّهُ عَلَى هَذَا التَّقْدِيرِ الْبَاطِلِ، لَمْ يُثْبِتِ الإِلَهِيَّةَ للهِ، فَهَذِهِ أَعْظَمُ كَلِمَةٍ تَضَمَّنَتْ بِالْوَضْعِ نَفْيَ الإِلَهِيَّةِ عَمَّا سِوَى اللهِ، وَإِثْبَاتَهَا للهِ بِوَصْفِ الاِخْتِصَاصِ، فَدَلاَلَتُهَا عَلَى إِثْبَاتِ الإِلَهِيَّةِ أَعْظَمُ مِنْ دَلاَلَةِ قَوْلِنَا: اللهُ إِلَهٌ، وَلاَ يَسْتَرِيبُ أَحَدٌ فِي هَذَا الْبَتَّةَ. اِنْتَهَى مُلَخَّصًا.

وَهُوَ يُبْطِلُ كَلاَمَ الْفَارِسِيِّ، وَيُبَيِّنُ جَهْلَهُ مِنْ وُجُوهٍ:

فَالأَوَّلُ: إِجْمَاعُهُمْ عَلَى أَنَّ الاِسْتِثْنَاءَ بِاللَّفْظِ وَالإِخْرَاجَ بِاللَّفْظِ؛ خِلاَفًا لَهُ.

وَالثَّانِي: أَنَّهُمْ مُتَّفِقُونَ عَلَى مُغَايَرَةِ «إِلاَّ» لِمَا قَبْلَهَا فِي الْحُكْمِ وَاللَّفْظِ.

وَمِنْهَا: اتِّفَاقُهُمْ عَلَى سَلْبِ الْحُكْمِ عَمَّا قَبْلَ «إِلاَّ»، وَإِثْبَاتِهِ لِمَا بَعْدَهَا، فَتَأَمَّلْ.

***[خطأ الفارسي في قوله: إنه لا حاجة إلى تقدير «حقٌّ» في الخبر]**

*** ثُمَّ أَتَى بِطَامَّةٍ أُخْرَى كَأَخَوَاتِهَا، فَقَالَ: «إِنَّهُ لاَ حَاجَةَ إِلَى تَقْدِيرِ «حَقٌّ»[2] فِي الْخَبَرِ، بَلْ يُقَدَّرُ مِنَ الأَفْعَالِ الْعَامَّةِ؛ كَالْوُجُودِ وَالإِمْكَانِ».**

وَهَذَا مَبْنِيٌّ عَلَى أَسَاسِهِ الْفَاسِدِ الْوَاهِي، وَهُوَ قَوْلُهُ: إِنَّ «إِلَهٌ» يُسْتَعْمَلُ وَيُرَادُ بِهِ: الإِلَهُ الْحَقُّ فِي الْكَلِمَةِ الطَّيِّبَةِ، فَكَوْنُهُ حَقًّا يُسْتَفَادُ عِنْدَهُ مِنِ اسْمِ

---

(١) في «ط»: «بقول».

(٢) «حق»: ساقطة من «ط».

«لاَ»، وَهُوَ «إِلَهٌ»، فَلاَ حَاجَةَ عَلَيْهِ[1] إِلَى أَنْ يُجْعَلَ الْخَبَرُ حَقًّا، وَكُلُّ مَنْ تَصَوَّرَ الْمَعْنَى الْمُرَادَ أَيَّ تَصَوُّرٍ، يَعْرِفُ أَنَّ الْمَنْفِيَّ كَوْنُ هَذِهِ الآلِهَةِ الَّتِي عُبِدَتْ مِنْ دُونِ اللهِ حَقًّا، وَيَعْرِفُ فَسَادَ هَذَا الْقَوْلِ، وَقَدْ مَرَّ تَقْرِيرُهُ فِي كَلاَمِنَا.

وَالنِّزَاعُ بَيْنَ الرُّسُلِ وَمَنْ نَازَعَهُمْ[2]: فِي حَقِيقَةِ مَعْبُودَاتِهِمْ مَعَ اللهِ، لاَ فِي وُجُودِهَا؛ فَإِنَّ الْوُجُودَ أَمْرٌ مَحْسُوسٌ لاَ يُنْكَرُ، وَلَكِنَّ أَهْلَ الْكَلاَمِ يُكَذِّبُونَ بِالْحِسِّيَّاتِ وَالْبَدِيهِيَّاتِ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَهْلُ الْعِلْمِ وَالْعَقْلِيَّاتِ، وَيُسَمُّونَ نُصُوصَ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ: ظَنِّيَاتٍ، وَقَوَاعِدَ الْمَنَاطِقَةِ: قَطْعِيَّاتٍ، فَلاَ عَجَبَ مِنْ ضَلاَلِهِمْ فِي مَعْنَى هَذِهِ الْكَلِمَةِ، وَمَا أَحْسَنَ مَا حَكَى اللهُ عَنْ رُسُلِهِ مِنْ قَوْلِهِمْ لِمَنْ كَذَّبَ بِتَوْحِيدِهِ، وَشَكَّ فِيمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلُهُ: ﴿أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[سورة إبراهيم آية: ١٠]؛ لأَنَّ هَذَا مِنْ أَظْهَرِ الظَّاهِرَاتِ، وَأَوْضَحِ الْوَاضِحَاتِ، وَأَبْيَنِ الْبَيِّنَاتِ.

وَلَيْسَ يَصِحُّ فِي الأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احْتَاجَ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلِ[3]

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «إِنَّ الْمُشْتَقَّ يَتَّحِدُ مَعَ الْمُشْتَقِّ مِنْهُ»[4]، فَهِيَ عِبَارَةٌ جَاهِلِيَّةٌ، تَدُلُّ عَلَى إِفْلاَسِ قَائِلِهَا مِنَ الْعِلْمِ، لاَسِيَّمَا عِلْمِ الصَّرْفِ وَاللُّغَةِ،

---

(١) «عليه»: ساقطة من «ط».

(٢) في «ط»: «ومن خالفهم».

(٣) من شعر المتنبي، انظر: «ديوانه» (٣/ ٩٢).

قلت: وقول المتنبي كقولهم: من شكَّ في المشاهدات؛ فليس بكامل العقل.

(٤) في «ط»: زيادة «في المعنىٰ».

كَفَى بِالْجَهْلِ قَائِلاً: اللهُ مُشْتَقٌّ مِنْ «إِلَه»، أَوْ مِنْ «إِلاَهَةٌ»، وَهُوَ لاَ يُوَافِقُهُ، وَلاَ يَتَّحِدُ مَعَهُ فِي الْمَعْنَى، وَضَرْبٌ مِنَ الضَّرْبِ، وَشَرَفٌ مِنَ الشَّرَفِ، هَذَا فِي الاِشْتِقَاقِ الأَصْغَرِ، وَالاِشْتِقَاقُ الأَكْبَرُ مِثْلُ ذَلِكَ وَأَظْهَرُ، كَمَا فِي خَلَقَ وَخَرَقَ وَأَمْثَالِهِمَا؛ فَإِنَّ الْمَدَارَ فِي ذَلِكَ عَلَى الاِتِّفَاقِ فِي مُعْظَمِ الْحُرُوفِ.

وَاشْتُقَّ عَمْرٌو ـ وَهُوَ دَالٌّ عَلَى الذَّاتِ ـ مِنَ التَّعْمِيرِ، وَهُوَ الْمَصْدَرُ، وَاشْتُقَّ مُحَمَّدٌ مِنَ الْحَمْدِ، وَبَيْنَهُمَا تَفَاوُتٌ فِي اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى، وَلَوْ قِيلَ: إِنَّهُ يَتَضَمَّنُهُ وَزِيَادَةً، لَصَحَّ الْكَلاَمُ وَاسْتَقَامَ، وَبِالْجُمْلَةِ فَلاَ يَقُولُ هَذَا إِلاَّ مَنْ لاَ يَعْرِفُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ.

وَقَالَ بَعْدَ مَا سَبَقَ مِنَ الْهَذَيَانِ: «**وَحَاصِلُ الْمَعْنَى سَلْبُ مَفْهُومِ الإِلَهِ لِمَا سِوَى اللهِ**»، كَأَنَّهُ أَرَادَ عَمَّا سِوَى اللهِ، فَقَالَ: لِمَا، فَلَمْ يُفَرِّقْ بَيْنَ مَعْنَى اللاَّمِ وَعَنْ، وَمَنْ بَلَغَتْ بِهِ الْجَهَالَةُ إِلَى هَذِهِ الْغَايَةِ وَالْحَالَةِ، سَقَطَ مَعَهُ الْبَحْثُ وَالْمَقَالَةُ.

وَذُكِرَ لِي: أَنَّهُ يَزْعُمُ[(١)] أَنَّ هَذَا التَّخْلِيطَ مَأْخُوذٌ مِنْ كَلاَمِ شَيْخِ الإِسْلاَمِ، أَوْ بَعْضِ تَلاَمِذَتِهِ[(٢)]، وَهَذَا مِنْ أَعْجَبِ الْعَجَبِ، كَيْفَ يُنْسَبُ إِلَيْهِ هَذَا الْجَهْلُ وَالضَّلاَلُ مَعَ وُفُورِ عَقْلِهِ، وَعِلْمِهِ، وَمَتَانَةِ دِينِهِ، وَجَوْدَةِ بَحْثِهِ، وَامْتِيَازِهِ فِي الْعُلُومِ؟!

وَلَكِنْ إِنْ صَحَّ هَذَا، فَلَهُ فِيهِ سَلَفٌ، نُقِلَ لَنَا عَنْ دَاوُدَ بْنِ جَرْجِيسَ

---

(١) في «ط»: زيادة «أو بعض تلامذته».

(٢) «أو بعض تلامذته»: ساقطة من «ط».

الْعِرَاقِيِّ: أَنَّهُ يَزْعُمُ أَنَّهُ يَرُدُّ عَلَى شَيْخِنَا بِكَلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ وَابْنِ الْقَيِّمِ، فَلَمَّا وَقَفْنَا عَلَى كَلَامِهِ، إِذَا هُوَ مِنْ أَجْهَلِ خَلْقِ اللهِ بِكَلَامِهِ وَدِينِهِ، وَبِكَلَامِ نَبِيِّهِ، وَبِكَلَامِ أُولِي الْعِلْمِ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَبْلَغُ مِنْ هَذَا قَوْلُ هَذَيْنِ، وَأَعْجَبُ قَوْلُ الْيَهُودِ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ يَهُودِيًّا، وَقَوْلُ النَّصَارَى: بَلْ كَانَ نَصْرَانِيًّا، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿ مَا كَانَ إِبْرَٰهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[سورة آل عمران آية: ٦٧].

* **وَأَمَّا قَوْلُهُ: «هَذَا مَا ظَهَرَ لِي»**.

فَصَدَقَ فِي هَذِهِ، وَهَلْ يَظْهَرُ الْحَقُّ وَالصَّوَابُ إِلاَّ لِمَنِ اعْتَصَمَ بِالسُّنَّةِ وَالْكِتَابِ؟ وَأَمَّا مَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذَلِكَ، فَقَدْ سَدَّ عَلَى نَفْسِهِ الْبَابَ، وَكَشَفَ حِجَابَهُ عَنْ فَهْمِ الْمُرَادِ وَالْخِطَابِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ﴾[سورة النساء آية: ١٦٠] الآية.

❒ ❒ ❒

[خاتمـــــة]

خَـاتِمَـةٌ تَتَضَمَّـنُ النَّصِيحَـةَ للهِ، وَلِـرَسُـولِـهِ، وَلِكِتَـابِـهِ، وَلأَئِمَّـةِ الْمُسْلِمِينَ، وَعَامَّتِهِمْ، لاَسِيَّمَا جُهَّالِ الطَّلَبَةِ الَّذِينَ لاَ بَصِيرَةَ لَهُمْ بِدِينِ اللهِ، وَلاَ مَعْرِفَةَ لَهُمْ بِحُدُودِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ.

فاعْلَمْ أَنَّ أَمْرَ الْمُسْلِمِينَ مَا زَالَ مُسْتَقِيمًا فِي الْقَرْنِ الأَوَّلِ، وَالْقَرْنِ الثَّانِي، عَلَى مَا كَانَ عَلَيْهِ السَّلَفُ الصَّالِحُ فِي أَفْضَلِ أَبْوَابِ الْعِلْمِ، وَأَشْرَفِهَا، وَأَوْجَبِهَا، وَهُوَ بَابُ مَعْرِفَةِ اللهِ بِصِفَاتِ كَمَالِهِ، وَنُعُوتِ جَلاَلِهِ، وَفِي بَابِ عِبَادَتِهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ.

ثمَّ دَخَلَ فِي أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ مَعَ وَلاَةِ الأُمُورِ، مَنْ قَصُرَ فِي بَابِ الْعِلْمِ بَاعُهُ، وَقَلَّ فِي شَرْعِ نَبِيِّهِ نَظَرُهُ وَاطِّلاَعُهُ، قَوْمٌ أَعْيَتْهُمُ السُّنَنُ أَنْ يَحْفَظُوهَا، وَأَبَتْ عَلَيْهِمُ الأَحْكَامُ أَنْ يَعْرِفُوهَا، فَطَلَبُوا عُلُومَ الأَوَائِلِ مِنْ أَهْلِ مَنْطِقِ الْيُونَانِ وَاسْتَحْسَنُوهَا، وَتَرَكُوا السُّنَّةَ وَالْقُرْآنَ وَمَا فِيهِمَا مِنَ الأَحْكَامِ وَلَمْ يُعَظِّمُوهَا.

مِنْهُمْ: بِشْرٌ الْمِرِّيسِيُّ، وَابْنُ أَبِي دُؤَادٍ، وَكَانَا قَدْ تَمَكَّنَا مِنْ عَبْدِ اللهِ

الْمَأْمُونِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، الْخَلِيفَةِ الْعَبَّاسِيِّ، وَزَيَّنَا لَدَيْهِ الْمَنْطِقَ، وَحَسَّنَاهُ، وَأَنَّهُ مِيزَانُ الْعُقُولِ وَالأَفْكَارِ.

فَلَهَجَ بِهِ الْمَأْمُونُ وَاشْتَغَلَ، وَاعْتَقَدَ أَنَّهُ امْتَازَ عَلَى مَنْ سَبَقَهُ فِي بَابِ مَعْرِفَةِ اللهِ، وَمَا يَجِبُ لَهُ، وَمَا يَسْتَحِيلُ عَلَيْهِ، وَمَا زَالَ بِهِ ذَلِكَ، حَتَّى أَلْزَمَ النَّاسَ بِرَأْيِهِ، وَرَفَعَ شَأْنَ مَنْ وَافَقَهُ، وَكَانَ عَلَى طَرِيقِهِ، وَوَلاَّهُمُ الْوِلاَيَاتِ، وَعَزَلَ مَنْ خَالَفَهُ وَأَهَانَهُ، وَحَبَسَ، وَشَرَّدَ، وَابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ، وَجَرَى عَلَى الإِسْلاَمِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ وَأَكْبَرُ بَلِيَّةٍ، وَكَتَبَ إِلَى وَزِيرِهِ بِبَغْدَادَ، يَذُمُّ أَهْلَ السُّنَّةِ وَيَعِيبُهُمْ، وَيَصِفُهُمْ بِالْجَهَالَةِ وَالضَّلاَلَةِ، وَأَنَّهُمْ حَشْوٌ وَسَفِلَةٌ، لاَ نَظَرَ لَهُمْ، وَلاَ عِلْمَ، وَلاَ نُورَ، وَلاَ فَهْمَ، يَعْنِي بِذَلِكَ: الإِمَامَ أَحْمَدَ، وَمَنْ كَانَ عَلَى طَرِيقَةِ الْمُثْبِتِينَ لِلصِّفَاتِ، الْقَائِلِينَ بِأَنَّ الْقُرْآنَ كَلاَمُ اللهِ غَيْرُ مَخْلُوقٍ.

وَيَقُولُ فِي كِتَابِهِ: «إِنَّ الْجُمْهُورَ الأَعْظَمَ وَالسَّوَادَ الأَكْبَرَ مِنْ حَشْوِ الرَّعِيَّةِ وَسَفِلَةِ الْعَامَّةِ مِمَّنْ لاَ نَظَرَ لَهُمْ، وَلاَ رَوِيَّةَ، وَلاَ اسْتِضَاءَةَ بِنُورِ الْعِلْمِ وَبُرْهَانِهِ، أَهْلُ جَهَالَةٍ بِاللهِ، وَعَمًى عَنْهُ، وَضَلاَلَةٍ عَنْ حَقِيقَةِ دِينِهِ، وَأَنَّهُمُ انْتَسَبُوا إِلَى السُّنَّةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَأَنَّهُمْ أَهْلُ الْحَقِّ، وَأَنَّ مَنْ سِوَاهُمْ أَهْلُ الْبَاطِلِ وَالْكُفْرِ، وَأَنَّهُمْ[1] أَوْعِيَةُ الْجَهَالَةِ، وَأَعْلاَمُ الْكَذِبِ، وَلِسَانُ إِبْلِيسَ النَّاطِقُ فِي أَوْلِيَائِهِ، وَالْهَائِلُ عَلَى أَعْدَائِهِ مِنْ أَهْلِ دِينِ اللهِ». وَأَطَالَ الْكَلاَمَ، وَأَمَرَ وَزِيرَهُ بِامْتِحَانِهِمْ عَلَى مُوَافَقَتِهِ عَلَى مَا اعْتَقَدَ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ مَخْلُوقٌ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَحْبِسَ وَيَفْعَلَ وَيَفْعَلَ بِمَنِ امْتَنَعَ عَنْ هَذَا الْقَوْلِ.

---

(١) في «ط»: «وإنما هم».

وَلَمَّا بَلَغَهُ أَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ، وَأَحْمَدَ بْنَ نُوحٍ، وَمُحَمَّدَ بْنَ نَصْرٍ امْتَنَعُوا عَنِ الإِجَابَةِ[1] إِلَى رَأْيِهِ، أَمَرَ بِحَمْلِهِمْ إِلَيْهِ فِي الْقُيُودِ، وَكَانَ بِطُوسٍ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ، فَدَعَا اللهَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ أَلاَّ يُرِيَهُ إِيَّاهُ، فَمَاتَ الْمَأْمُونُ قَبْلَ وُصُولِهِمْ، فَرُدُّوا إِلَى بَغْدَادَ، ثُمَّ امْتَحَنَهُمْ أَخُوهُ الْمُعْتَصِمُ وَابْنُهُ الْوَاثِقُ، وَجَرَى عَلَى الإِسْلاَمِ وَالْقُرْآنِ أَعْظَمُ مِحْنَةٍ مِنَ الْعِنَايَةِ بِمَنْطِقِ الْيُونَانِ حَتَّى ضُرِبَ أَحْمَدُ بْنُ حَنْبَلٍ بِالسِّيَاطِ، وَقُتِلَ مُحَمَّدُ[2] بْنُ نَصْرٍ، وَبَعْضُ الْعُلَمَاءِ شُرِّدَ، وَهَاجَرَ.

فلَمَّا تَوَلَّى أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ أَبُو جَعْفَرٍ الْمُتَوَكِّلُ، رَفَعَ الْمِحْنَةَ، وَنَشَرَ السُّنَّةَ، وَأَمَرَ بِلَعْنِ الْجَهْمِيَّةِ عَلَى الْمَنَابِرِ، وَقَرَّبَ الإِمَامَ أَحْمَدَ، وَأَكْرَمَهُ، وَأَخَذَ بِرَأْيِهِ، وَرَفَعَ شَأْنَ السُّنَّةِ، وَالْقُرْآنِ، وَهُوَ[3] الَّذِي هَدَمَ مَشْهَدَ الْحُسَيْنِ، وَمَا عَلَيْهِ مِنَ الْبِنَاءِ الَّذِي أَحْدَثَهُ النَّاسُ، فَجَزَاهُ اللهُ عَنِ الإِسْلاَمِ وَأَهْلِهِ خَيْرًا.

فتَأَمَّلْ مَا جَرَّ الْمَنْطِقُ عَلَى أَهْلِهِ مِنَ الْبَلاَيَا وَالْمِحَنِ، وَمَا أَوْقَعَهُمْ فِيهِ مِنَ التَّعْطِيلِ، وَالرِّيَبِ، وَالْفِتَنِ، فَكَيْفَ يَسْتَجِيزُ مَنْ لَهُ أَدْنَى عَقْلٍ أَوْ دِينٍ أَنْ يَقْرَأَ كُتُبَ الْمَنْطِقِ، وَعُلُومَ الْيُونَانِ، وَيَدَعَ الاِشْتِغَالَ بِعُلُومِ السُّنَّةِ وَالْقُرْآنِ،

---

(١) في «ط»: «من».

(٢) في «ط»: «أحمد».

(٣) في «ط»: «فهو».

وَهَلْ هَذَا إِلاَّ لِزَيْغٍ[1] فِي الْقُلُوبِ ؟! وَمِثْلُ هَذَا لاَ يُوَفَّقُ لِطَلَبِ الْعِلْمِ مِنْ كِتَابِ اللهِ، وَفَهْمِهِ.

قَالَ ابْنُ عُيَيْنَةَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَٰتِيَ ٱلَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾[سورة الأعراف آية: ١٤٦]؛ أَيْ: عَنْ فَهْمِ الْقُرْآنِ[2].

فَأَيُّ ذَرِيعَةٍ؛ وَأَيُّ وَسِيلَةٍ إِلَى تَرْكِ كِتَابِ اللهِ، وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ، أَضَرُّ وَأَقْرَبُ مِنَ الْمَنْطِقِ، وَالأَخْذِ عَنْ أَهْلِهِ، وَخَلْطِ دِينِ اللهِ بِهِ ؟!

فَنَسْأَلُ اللهَ الثَّبَاتَ عَلَى دِينِهِ، وَأَلاَّ يُزِيغَ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا، وَأَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَحِزْبِهِ، الَّذِينَ يَنْصُرُونَهُ، وَيَذُودُونَ عَنْ دِينِهِ، وَكِتَابِهِ، وَيَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْمُبْطِلِينَ، وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ، وَزَيْغَ الزَّائِغِينَ، إِنَّهُ وَلِيُّ ذَلِكَ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا[3] مُحَمَّدٍ، وَعَلَى[4] آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَسَلَّمَ.



(١) في «ط»: «زيغ».

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٥/ ١٥٦٧)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٥٨).

(٣) «سيدنا»: ساقطة من «ط».

(٤) «على»: ساقطة من «ط».

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

❐ ❐ ❐